



# مراجعة كتابات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

جمادى الثانية 1439 هـ - فبراير 2018م

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الأطروحات التي أنجزها العُمانيون في الخارج رسالة دكتوراه بعنوان «تمويل الأعمال التجارية الصغيرة في عُمان»، قدمها الدكتور عبد العزيز الخروصي لجامعة لأفبرا في بريطانيا سنة ٢٠٠٣.

يذكر الباحث في ملخص دراسته أنه من المسلم به الآن أن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم ذات أهمية كبرى للأجندة الإستراتيجية لكثير من البلدان في جميع أنحاء العالم؛ حيث إنها يمكن أن تخفض البطالة وتزيد النمو الاقتصادي، وهذا أمر ذو أهمية خاصة لبلد صغير مثل عُمان يسعى لتنويع قاعدة إنتاجه.

ومع ذلك، كما يؤكد الباحث، من المعروف جيداً أن مؤسسات الإقراض غالباً ما تتردد في تقديم القروض للشركات الصغيرة بسبب طبيعة هذه الشركات وحجمها. ولذلك، فإن دراسته هي أول بحث يجري تحقيقاً مفصلاً في تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة في عُمان من خلال التركيز على ثلاثة قطاعات رئيسية تعمل فيها هذه المشاريع وهي: التصنيع، والتجارة، والخدمات.

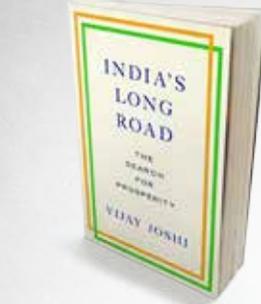
ويقول الباحث إن دراسته تهدف أولاً إلى بحث الإجراءات والمشكلات التي تواجهها المشاريع الصغيرة والمتوسطة الحجم في الحصول على التمويل من خلال النظر في الحاجة إلى التمويل، وأنواع التمويل المتاحة، والصعوبات التي يمكن مواجهتها في هذه العملية. وعليه، عرض الباحث المبادئ التوجيهية التي تشجع مشاركة هذه الشركات في التنمية العمانية.

ويضيف الباحث أن الدراسة تسعى أيضاً إلى بحث العلاقة بين بعض خصائص الشركات وملاكها والحاجة إلى التمويل، إضافة إلى الصعوبات التي واجهوها عند التماس هذا التمويل. وأخيراً، أجرى الباحث مقارنة بين الإجراءات والمشاكل التي تواجهها المشاريع الصغيرة والمتوسطة الحجم في القطاعات الثلاثة.

جمع الباحث بيانات الدراسة عن طريق الاستبيانات والمقابلات من ٣٩٧ مؤسسة صغيرة ومتوسطة في عُمان؛ ٩٤ من قطاع الصناعات التحويلية، و ١٨٠ من قطاع التجارة، و ١٢٣ من شركات الخدمات. ثم حلل البيانات باستخدام الطرق التالية: التحليل الوصفي، والاختبارات غير المعلمية، وتحليل التباين (أنوفا).

وينص الباحث على أن النتائج أظهرت أن هناك فروقاً كبيرة بين الشركات وخصائص مديريها أو ملاكها، والحاجة إلى الحصول على تمويل خارجي، وكذلك النجاح أو الصعوبات التي تواجهها في التقدم بطلب للحصول على هذا الإقراض. كما أثبتت الدراسة حاجة هذه الشركات للتمويل الخارجي لتوسيع أعمالها، لا سيما في قطاعي التجارة والخدمات، وكان غالبية المشاركين في جميع القطاعات الثلاثة على بيئة من مصادر التمويل الحكومية.

وقد وجد الباحث أن الأسباب الرئيسية لصعوبات الحصول على التمويل تتمثل في: المعدلات المرتفعة للفائدة، وخطط الأعمال غير المكتملة، ونقص السندات المالية، وتقديم مقترحات غير قابلة للتطبيق.



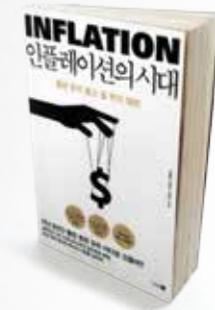
• «طريق الهند الطويل»  
• فيجاي جوشي



• «أزمة قطاع غزة»  
• مجموعة مؤلفين



• «القدس تحت الحصار»  
• إريك كلين



• «عصر التضخم»  
• مجموعة مؤلفين



• «ليالي قليلة وليلة»  
• إيسيدوروس زورغوس



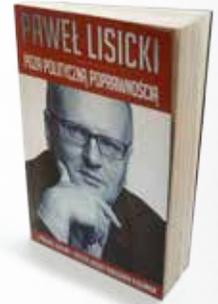
• «فكرة أوروبا»  
• مجموعة مؤلفين



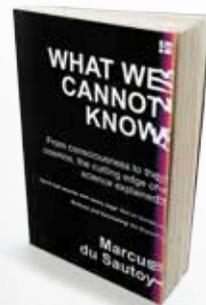
• «من أين يأتي المال يا كارل»  
• إيلينا كوتوفا



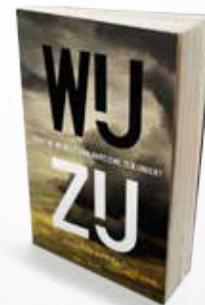
• «خيبة الأمل في الإنترنت»  
• رومان بادوارد



• «ما وراء الصحافة السياسية»  
• بافل ليشيتسكي



• «ما لا يمكن أن نعرفه»  
• ماركوس دي سوتوي



• «نحن - هم»  
• مارتن أبيلو



## القدس تحت الحصار

# من كنعان القديمة إلى دولة إسرائيل لإريك كلين

### عز الدين عناية \*

بعد أن روى المؤرخ وعالم الآثار إريك كلين في مؤلّفين سابقين قصة معركتي «مجدو» و«هرمجدون»، الوارد ذكرهما في الأسفار المقدسة، يسلط الضوء في المؤلّف الحالي «القدس تحت الحصار» على مُختلف أنواع الصراعات التي تعرضت لها المدينة. وإن تكن مجدو مدينة مينة منذ قرون، ولا تزيد في الوقت الحالي عن كونها حقلاً أثرياً، فإنّ القدس رغم قدمها الضارب في أعماق التاريخ لا تزال مدينة نابضة حياة وحقّ أن يُطلق عليها المدينة الخالدة. في الكتاب الذي نعرضه للقارئ يروي إريك كلين تاريخ المدينة من خلال أحداث مضطربة ووقائع عنيفة، وهو مدخل مفيد وضروري للإحاطة بقضايا الراهن.

وشرقاً)، بل تبقى المدينة نائية أيضاً عن الموانئ البحرية التي تقع على ضفاف المتوسط. ولعلّ وجود نبع جيحون، المسمى في الوقت الحالي «نبع أم الدرج»، وما يوفره من ماء للري والشرب على مدار السنة، وكذلك الحماية الطبيعية التي يضمنها حلق الوادي المحاذي، كانا من بين الأسباب التي دفعت الكنعانيين للإقامة في تلك البقاع، منذ الألف الثالث قبل الميلاد. فقد كتب الجغرافي الإغريقي سترابون: «تقع القدس في موضع لا تحسد عليه» لذلك «لم يخض فيها أحد حرباً جادة». وإن كانت الحروب قد تعددت فيها بتراكم رصيدها الرمزي الديني مع الأديان التوحيدية، بعد أن ساد الاعتقاد بأن الصخرة الكبرى على جبل الهيكل هي الصخرة التي تلّ فيها إبراهيم ابنه للجبين (إسماعيل/ إسحاق)، بحسب الروايتين الإسلامية واليهودية، ومقدم عديد الأنبياء والمرسلين إلى المدينة أو إقامتهم فيها، وترسّخ أنها تضمّ موضع معراج النبي الأكرم إلى السماوات العلى. ناهيك عن كون مدينة القدس قبلة ومحجاً للأديان الثلاثة بأشكال متباينة.

وقبل مئات السنين من دخول النبي داود (ع) القدس، كانت المدينة مسرحاً لنزاعات بقصد السيطرة عليها والتحكم بمقدراتها. جرى في أواخر القرن التاسع عشر اكتشاف ما يُعرف برسائل تلّ العمارنة، التي تعود إلى حقبة الفرعون أمنحتب الثالث وابنه أخناتون. ومن بين تلك الرسائل ما تبين أنها مرسلّة حوالي العام ١٣٥٠ قبل الميلاد من قبل والي أورسالم الكنعاني عبيدي خيبا إلى فرعون مصر، يلتمس فيها العون: «لقد هاجموني من كل حذب وصوب، أجد نفسي مثل سفينة في عرض البحر». وبحسب فحوى تلك الرسائل يُرجّح أن المنطقة الواقعة على التلال خلف الصحراء، أي

من أهلها أو استعبادهم مرتين على الأقل، وضرب حولها الحصار ثلاث وعشرين مرة، وهوجمت اثنتين وخمسين هجمة، واجتاحت في أربع وأربعين مناسبة. كما كانت مسرحاً لعشرين ثورة ولعدد وافر من الانتفاضات والنزاعات. فقط في القرن الفائت شهدت المدينة خمس حالات متميزة من الثورات والانتفاضات العنيفة.

أملت كثرة الأحداث وتنوعها على المؤلّف جمع كل سلسلة من الوقائع المتلاحقة تاريخياً، أو المترابطة سياسياً، تحت عنوان جامع بلغت أعدادها عشر معنونات في فهرس الكتاب. غطت تقريباً كافة الوقائع التاريخية الكبرى التي هزّت المنطقة على مدى ألفي سنة قبل الميلاد وألفي سنة بعد الميلاد. في مستهلّ الكتاب يتساءل المؤلّف إريك كلين لماذا هيمن الصراع على ذلك النحو المتكرر والمتفجر في المنطقة؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء شنّ عشرات الحشود والجيوش أكانت مشكّلة من قبائل صغرى أو تابعة إلى دول كبرى حروباً لأجل السيطرة على القدس؟ رغم أن المكان على ما يبدو ظاهرياً لا ينعم بثراء طبيعي مُميز أو مُغر، فهو بعيد عن الموانئ البحرية والطرق التجارية الهامة، فالمدينة تقع على أطراف صحراء قاحلة لا تناسب إنشاء مركز تبادل تجاري مؤثر أو قاعدة عسكرية إستراتيجية. صحيح أن القدس القديمة (أورسالم) لا تتجاوز خمسة هكتارات، وهي القدس المعروفة بـ«مدينة داود» في التقليد العبراني، لم تشهد تمدداً سوى لاحقاً، أي بعد قرون من عصر النبيين داود وسليمان (عليهما السلام)؛ ولكن القدس، كما خلصت كارن أرمسترونغ في كتابها «تاريخ مدينة القدس»، تقع جغرافياً في حيز تعوزه الثروات الطبيعية، ويبعد عن الطرق التجارية القادمة من مصر والمتجهة صوب الأناضول (جنوباً) وأرض الرافدين (شمالاً)

نشير إلى صدور جملة من الأعمال في إيطاليا في السنوات الأخيرة، بعضها مترجم والآخر مؤلّف، تناولت المدينة من زوايا عدّة. فقد توقّف إسرائيل فينكلشتاين ونايل أشر سيلبرمان عند مصداقية الرواية التوراتية بشأن المدينة في كتاب بعنوان «آثار موسى» (كاروتشي، ٢٠٠٢)؛ وفي ما يخص علاقة الأديان التوحيدية الثلاثة بالمدينة، تناول الموضوع كل من كارن أرمسترونغ في كتاب «تاريخ مدينة القدس» (موندادوري، ١٩٩٩) وفرانكو كارديني في كتاب «تاريخ بيت المقدس» (إيلمولينو، ٢٠١٢)؛ وراجع جوفاني بريزي مختلف وقائع الصدمات الرومانية اليهودية في كتاب بعنوان «غزو بيت المقدس» (لاتيرسا، ٢٠١٥). أما كتاب «القدس تحت الحصار» الذي نعرضه فهو مصنّف تاريخي أثري، هدف مؤلّفه إريك كلين إلى عرض السياقات التاريخية لمُختلف الصراعات والحروب والغزوات والثورات والفتن التي أملت بالقدس، فضلاً عن حالات التدمير والتهجير والنهب والحصار التي تعرّضت لها المدينة أو كانت مسرحاً لها، على مدى أربعة آلاف عام، أي منذ الألف الثاني قبل الميلاد وإلى غاية التاريخ الحالي تقريباً، في وقت يصرّ فيه المؤمنون من أتباع الأديان التوحيدية الثلاثة على نعت القدس بمدينة السلام. وكتاب على هذا النحو «كما يورد المؤلّف- يسهم في الإحاطة بما للأحداث السالفة من دور في إذكاء الصراع المتفجر اليوم، على مستوى سياسي وديني في فلسطين وما جاورها.

فقد كانت المدينة، على مدى الأربعة آلاف سنة الأخيرة، عرضةً إلى ١١٨ شكلاً من أشكال الصراع الشامل والمصيري، وهي صراعات تمتد من الصدمات المحلية إلى الحملات العسكرية القادمة من الخارج، بمختلف أشكالها وأنواعها. حيث جرى تدمير المدينة كلياً وتهجير ما تبقى



لثوار المكابيين (١٦٧ ق.م)، واستحضر وقائع ثورة بار كوخبا ضد الرومان (١٣٥ ق.م)، واسترجاع تداعيات المنفى البابلي ليغدو المزمور (١٣٧: ١-٦) بمثابة النشيد الملحمي للصهيونية «على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا عندما تذكرنا صهيون، على الصّفاصاف في وسطها علّقنا أعودنا، لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعدّبونا سألونا فرحاً قائلين رنّموا لنا من ترنيمات صهيون، كيف نرنّم ترنيمة الربّ في أرض غريبة. إن نسيك يا أورشليم تنسني يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي». ودائماً ضمن ما يخلص إليه المؤلف: عادة ما تغدو صراعات الماضي سنداً للدعاية السياسية في الراهن، وهكذا تُستحضر أحداث تعود إلى أحقاب بعيدة. فعلى سبيل المثال يحتفل الموظفون الإسرائيليون سنوياً بانتزاع النبي داود (ع) القدس من قبضة البيوسيين حوالي العام ألف ق.م كمثل للسيطرة اليهودية على المدينة ضمن عملية إنعاش بئسة للذاكرة، في وقت يفخر فيه الفلسطينيون بتحردهم من تلك الجماعة.

صحيح وفق المؤلف في عرض الأحداث التي عايشتها القدس، وراعى في ذلك شروط الكتابة العلمية باعتماد الخرائط والصور وإدراج جملة من الفهارس، توزعت بين فهرس للأعلام وفهرس للأماكن وفهرس للمراجع، مع ذلك لم يفلح في تفسير الأحداث، ولم يجرؤ على تقديم خلاصة لمغتصب القدس الأخير حتى لا يبقى مصنف «القدس تحت الحصار» استعراض وقائع، فالتاريخ ليس مجرد إخبار بل بالأحرى هو نظّر وتحقيق. نبذة عن المؤلف: إريك كلين هو أستاذ في قسم اللغات والحضارات القديمة ومدير معهد الآثار في جامعة جورج تاون. قام بالعديد من الحفريات في فلسطين والأردن ومصر. صدرت له مجموعة من الأعمال التاريخية منها: «مقدمة في علم الآثار التوراتي» (٢٠٠٩)، «سقوط الحضارة» (٢٠١٤)، «معركة هرمجدون» (٢٠١٦).

الكتاب: القدس تحت الحصار.. من كنعان القديمة إلى دولة إسرائيل.  
تأليف: إريك كلين.  
الناشر: منشورات بولاتي بورينغاري (تورينو) «باللغة الإيطالية».  
سنة النشر: ٢٠١٧.  
عدد الصفحات: ٤٢١ ص.

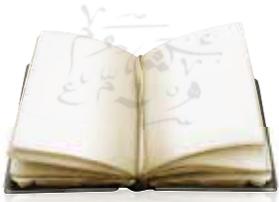
\* أستاذ تونسي بجامعة روما



للصراع أو إلى عود أبدي للفتن، ونغفل عن كونها موضع قدسية عالية كما يعرب اسمها العربي وقبله مناجاة للواحد الأحد، لها فريدة على البسيطة. كما لا نقدر أن المؤلف إريك كلين قد أصاب حين أورد «إن نعت «مدينة السلام» الذي أضفي على القدس هو باحتمال كبير خطأ في الترجمة وبدون شك هو نعت غير لائق لها، أو «ليس هناك مدينة تضاهي القدس من حيث كثافة الصراع وتواتره عبر التاريخ»، لأن من يريد سلاماً للقدس ينبغي ألا يستثمر في الصراع حتى لا نجرف إلى رؤية عبثية للتاريخ على غرار الصورة التي رسمها الأثري الإسرائيلي مائير بن دوف عن تواتر الصراع وتناسل بعضه من بعض حول المدينة: استخدم الإمبراطور البيزنطي (جوستينيان) بقايا جبل الهيكل لبناء كنيسة عظيمة واجتهد في إخفاء تلك البقايا، لكن اليهود هدموا الكنيسة في أول فرصة. وبنى المسلمون فضاء جبل الهيكل مستعملين بقايا الكنيسة ذاتها. وبعد مئات السنين من الصمت، استعاد الدارسون الإسرائيليون هذه القصة المعقدة من عمق النسيان: هذا هو معنى الآثار في أورشليم. على العموم، يخلص الكتاب إلى فكرة جوهرية مفادها أن معظم المعارك التي شنت على مدى أربعة آلاف سنة أوجبتها رغبة جامحة لدى الأطراف المتنازعة، لتأكيد هيمنتها الثقافية والدينية على الأرض. لذلك تعود معظم المعارك على المدينة إلى تقدير أهميتها السياسية والدينية وليس إلى أهميتها العسكرية أو التجارية. إذ يبدو توظيف الرأسمال الرمزي فاعلاً في تأجيج الصراع حول القدس. لم يتوان القادة الصهاينة، تيودور هرتزل وماكس نورداو وفلاديمير جابوتنسكي، في إثارة المخيال الإسرائيلي بتوظيف الأحداث البطولية

وراء البحر الأحمر، التي أطلق عليها المصريون أورسالم، قد تعرّضت إلى حصار من قبل كنعانيين أيضاً غير موالين لفرعون مصر، وهي المرة الأولى التي يرد فيها نصّ مدوّن بشأن الصراع على المدينة. بعد تلك الواقعة الموثقة سوف تتوالى محاولات غزو المدينة من قبل الآرامي هزائيل، والآشوري سنحريب، والبابلي نبوخذ نصر (ثلاث مرات مع تدمير للهيكل سنة ٥٨٥ ق.م)، والفرعون شيشنق، وكذلك من قبل الفرس في عهد كورش الذي سيصدر في عهده «وعد كورش» (٥٣٨ ق.م)، بما سيسمح لليهود بدخول المدينة بعد المنفى البابلي وإقامة الهيكل مجدداً. ومن بين القادة في التاريخ الذين لم تستهوههم المدينة الإسكندر الأكبر «جنب نابوليون طبعاً»، ثم يول كلاهما المدينة اعتباراً. في حين أغوت كثيرين من قبل ومن بعد، مثل أباطرة الرومان بومبيوس وتيتوس وهادريان، وقد تخلل تلك الفترة اضطهاد اليهود (عام ٦٦ م) وتدمير الهيكل (٧٠م)، ليلي ذلك إخماد ثورة بار كوخبا (١٣٥م). ومنذ ذلك العهد تشتت اليهود ولم يبق منهم سوى عدد ضئيل في فلسطين حتى العام ١٩٤٨، تاريخ إنشاء دولة إسرائيل. هذا وقد خضعت المدينة إلى حكم المسلمين من العام ٦٣٨ م - ست سنوات بعد وفاة النبي محمد (ص) - إلى الحادي عشر من سبتمبر ١٩١٧، تاريخ اجتياح وحدات الجنرال إدموند هنري هايمان المعروف بالنبي القدس. والملاحظ في هذا المسار المتقلب لتاريخ القدس أن نصارى الفرنجة قد حكموا المدينة ٨٨ سنة فقط حين غزاها الصليبيون، أي من العام ١٠٩٩ وإلى غاية العام ١١٨٧، تاريخ تحريرها من قبل القائد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين.

منذ الحصار الموثق الذي تعرّضت له أورسالم في عهد عبدي خيبا لم ينقض قرن، وأحياناً بضع سنين، لم تشهد فيها المدينة صراعاً على أسوارها أو داخل أحيائها. سيأتي إليها الآراميون والآشوريون والبابليون والرومان والبيزنطيون والمكابيون، كما سيأتي إليها السلاجقة والصليبيون والمغول والمماليك، وسيأتي إليها العثمانيون والإنجليز الذين سيسلمونها للإسرائيليين. يقول المؤلف، لعل الجواب عن ذلك الانجذاب للقدس يقتضي البحث عنه على مرتفع يسمى جبل الهيكل في التصور اليهودي، أو ما يعرف بالحرم الشريف لدى المسلمين، الموضع الواقع في قلب المنطقة السكنية والذي يطلق عليه جرشوم غورينبيرغ في مؤلف «نهاية الأيام» (٢٠٠٠) «الملكية العقارية الأكثر تنازعا عليها فوق سطح الأرض». في الواقع، في ظل استعادة كرونولوجيا الصراع على النحو الذي ارتأه المؤرخ إريك كلين، ينبغي ألا نحول القدس إلى بؤرة أبدية



## «أزمة قطاع غزة.. مواجهة التحدي»

أميرة سامي \*

هذا الكتاب مشروع قام به معهد دراسات الأمن القومي لدراسة الوضع في قطاع غزة عام ٢٠١٧، تناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والبنية الأساسية والأمنية السائدة في المنطقة، وآثارها القصيرة وطويلة الأجل. واستند المشروع لتحليل للوضع في قطاع غزة من جوانب مختلفة، وكان الغرض من الدراسة هو توفير أساس بحثي للمطالبة بحق إعادة تقييم سياسة إسرائيل المتعلقة بالمنطقة، والشروع في برنامج إعادة تأهيل دولي لها؛ استناداً للتقييم القائل بأن قطاع غزة يواجه مشكلة حادة في مجال البنية التحتية، وهو أمر محفوف بالمخاطر، ومليء بالتهديدات الإنسانية والأمنية. وثمة تقييم مشترك بين العديد من واضعي المواد والمشاركين في حلقة العمل، وهو أن عملية إعادة بناء قطاع غزة هي حاجة الساعة، وأن تسجيل مشروع إعادة التأهيل لن يكون واضحاً إلا بمرور الوقت. وهذا يعني أن الحاجة لتحسين ظروف المعيشة والبنية الأساسية، والانطلاق الفعلي للتحركات في هذا الاتجاه. لن يعمل على الوقف الفوري لانهاية البنية الأساسية الاجتماعية والاقتصادية في قطاع غزة، أو يمنع وقوع حوادث عنف بين إسرائيل وحماس، والتي يمكن أن تتصاعد وتثير مواجهات واسعة النطاق.

السياسية الأخرى والقوات المدنية العاملة في قطاع غزة، فضلاً عن الفضاء السياسي الفلسطيني ككل. وبالمثل، من أجل تقييم الدور الذي تلعبه حماس في غزة اليوم وفي المستقبل، من الضروري تحليل وفهم الديناميات الداخلية داخل حماس نفسها، بما في ذلك التوازن بين الجناح السياسي للمنظمة والجيش. كما تناول شلومو بروم «السلطة الفلسطينية والوضع في قطاع غزة»، ويجد أن موقف السلطة الفلسطينية في رام الله، التي تسيطر عليها حركة فتح، والوضع في قطاع غزة، ومشاريع إعادة إعمار غزة ينبع أساساً من المصالح السياسية لحركة فتح، خاصة حركة محمود عباس؛ لذلك يتأثر أولاً وقبل كل شيء الصراع السياسي بين حركة فتح التي تسيطر على الضفة الغربية وحركة حماس التي حكمت قطاع غزة منذ العام ٢٠٠٧م.

وتناول كل من كوبي مايكل وأومير دوستري «الحشد العسكري لحماس»، ويذكر أن التوتر في حماس بين القيادة السياسية والجناح العسكري موجود أساساً حول أولويات المنظمة في تخصيص الموارد، وبينما تدفع القيادة السياسية جهوداً عاجلة لإعادة تأهيل قطاع غزة واستعادة العلاقات بين حماس ومصر والمملكة العربية السعودية، فإن القيادة العسكرية تقدر الحشد العسكري، بما في ذلك تعميق التعاون مع العناصر الجهادية النشطة في شبه جزيرة سيناء ومع ذلك، وعلى الرغم من الاختلافات في الرأي بين الفرعين، هناك اتفاق على أن المواجهة العسكرية واسعة مع إسرائيل تتنافى مع مصالح المنظمة في الوقت الحاضر.

كما تناول يورام شفايتزر «السلفية الجهادية في غزة كمعارضة لنظام حماس»، ويذكر أنه في العام ٢٠٠٥م، بدأت المنظمات والمجموعات التي تمثل التيار السلفي الجهادي في الظهور بقطاع غزة. وقد أدى استيلاء حماس على قطاع غزة في العام ٢٠٠٧م، ومع إزالة منافسي فتح جعل قادة الحركة ونظرائهم في العالم، وقطاع غزة يأملون بشكل خاص في أن يكون أحد أهدافها الأيديولوجية التقليدية -مهاجمة اليهود ومهاجمة إسرائيل. وقد

قطاع غزة، وفي الحفاظ على أهميتها كشريك مستقبلي للمفاوضات مع إسرائيل فيما يتعلق بالترتيبات الانتقالية، لا سيما فيما يتعلق بالحوار بشأن تسوية شاملة.

٣- من الضروري إدخال تخفيف للقيود المفروضة على المرور من قطاع غزة وإليه في مواجهة الاحتياجات الأمنية الإسرائيلية، وما يترتب على ذلك من ضرورة إدماج تدابير المراقبة الوثيقة عند المعابر الحدودية والبحر والأرض.

٤- إن سياسة الاعتراف الرسمي بحركة حماس في مقابل الاعتراف الفعلي بالمنظمة تسيطر على قطاع غزة؛ وبالتالي فهي مسؤولة عما يحدث في المنطقة، وأنه بدون التنسيق معها، لن يكون من الممكن تشجيع أي نشاط لإعادة التأهيل.

٥- الحاجة لدمج السلطة الفلسطينية وإعادة تأهيل قطاع غزة ضد سياسة الفصل بين قطاع غزة والضفة الغربية، التي تدعمها إسرائيل والسلطة الفلسطينية.

٦- الوعي الدولي بالحالة الإشكالية في قطاع غزة والشعور بعدم وجود هدف في مجال الاستثمارات في المنطقة؛ بسبب خطر التصعيد الأمني المستمر وانعدام الآفاق السياسية، خاصة في المنطقة، وفي سياق الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني بشكل عام.

وقد انقسمت المقالات الواردة في الكتاب إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: تناول فيها بينيدتا بيرتي وعينات كورز «إدارة حماس في قطاع غزة»، ويوضحان أن التغيير الأساسي الذي حدث في قطاع غزة في العقد الماضي هو صعود حماس إلى السلطة والسيطرة السياسية والاجتماعية والعسكرية التي ركزت عليها المنظمة. وحتى أواخر العام ٢٠١٧م، فإن حكم حماس في غزة غير مستقر، ولكن المنظمة لا تزال تتمتع بسلطة لا يمكن إنكارها. لذلك، فإن أي اقتراح لسياسة طويلة الأمد تجاه غزة يجب أن يأخذ هذا الواقع في الاعتبار، وأن ينظر في التوازن المعقد للسلطة بين حماس والفصائل

ومع ذلك، يجب صياغة تفاصيل مشروع إعادة التأهيل واتخاذ التدابير من أجل زيادة فرص الحد من عوامل الخطر في المنطقة، وإرساء هدوء اجتماعي وأمني يمكن توقعه، إضافة لحافز للاستثمار في الهياكل الأساسية في المنطقة. وينبغي النظر في «اتفاق المصالحة» الذي صيغ بين حماس والسلطة الفلسطينية في أكتوبر ٢٠١٧؛ باعتبارها تطوراً من شأنه أن يسهل على البلدان والمؤسسات والمنظمات الراغبة في المشاركة في مشروع إعادة التأهيل وتنسيق تفاصيله والعمل على تحقيق ذلك.

أما فيما يتعلق بهيكل مشروع إعادة التأهيل، فقد اتفق على أنه يجب الاضطلاع به بمشاركة طويلة الأجل وملزمة من جانب مؤسسات وبلدان من الشرق الأوسط والمجتمع الدولي. وذلك من أجل تزويدها بأكبر قدر من الشرعية، فضلاً عن الموارد الكثيرة اللازمة لتعزيزها.

ويناقش أودي ديكيل وعينات كورز في الفصل الافتتاحي -بالتفصيل- الأساس المنطقي لبدء مشروع إعادة تأهيل قطاع غزة الذي ستطلقه مبادرة إسرائيلية، وسيجري تنفيذه على نطاق واسع من التنسيق والمشاركة على الصعيدين الإقليمي والدولي. ويصف هذا الفصل أيضاً مراحل ومكونات مشروع إعادة التأهيل المعقدة والشاملة والموارد اللازمة لتحسين ظروف المعيشة في قطاع غزة؛ وبالتالي تقليل احتمال وقوع الانفجار الإنساني والأمني الكامن في الوضع القائم في المنطقة.

ويرى المؤلفان أن صياغة المبادئ والنهاتم والالتزامات تجاه مشروع إعادة التأهيل على نطاق واسع واستهلاك الموارد في قطاع غزة وتوفير جميع هذه الضمانات، سيكون من الضروري لتحقيق التوازن بين الاعتبارات والمصالح المختلفة، على جميع مستويات التأهيل؛ وذلك للآتي:

١- أن هناك حاجة ملحة لإطلاق مشروع من شأنه إنقاذ قطاع غزة.

٢- تعزيز وضع السلطة الفلسطينية على الساحة الفلسطينية بشكل عام؛ سواء في الضفة الغربية أو في



الدراماتيكية للاضطرابات في العالم العربي. أما سيما شاين وأنا سيتران، فتناولوا «سياسة إيران تجاه غزة»، ويذكران أن المساعدات التي تقدمها إيران للمنظمات في قطاع غزة تعكس تطلعاتها إلى لعب دور مهم في هذه المنطقة كجزء من جهودها لتوسيع نفوذها في الشرق الأوسط وفي الساحة الفلسطينية بشكل عام. وفي هذا السياق، قدمت إيران مساعدات مالية وعسكرية للمنظمات الفلسطينية العاملة في قطاع غزة، والتي تعتبرها الذراع العسكرية التي تعمل ضد إسرائيل. وتولي المنظمات الفلسطينية في قطاع غزة - خاصة الجناح العسكري لحماس - أهمية كبيرة لاستمرار العلاقة مع إيران في ظل العزلة السياسية والاقتصادية المحيطة بها. وعلى الرغم من الاختلافات في الرأي التي ظهرت في السنوات الأخيرة بين المنظمات في غزة وإيران، خاصة على خلفية الانقسام في العالم العربي واستمرار الحرب في سوريا، إضافة للضجوة الشيعية والسنية في الشرق الأوسط، يبدو أن طهران لا تتخلى عن سيطرتها على قطاع غزة، وأنها تعتزم مواصلة مساعدة العناصر التي ستثبت معارضة نشطة لإسرائيل.

وعرض يويل غوزانسكي «دول الخليج وإسرائيل وحماس»، ويرى أن السياسة الخارجية للدول الست الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي -السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وعمان- لم تكن مثالا على التعاون، وهذا لا يختلف اختلافا جوهريا عندما تناقش سياستها تجاه قطاع غزة، وإضافة للتركيز الحالي للعديد من دول الخليج على المشاكل الداخلية والصراعات الإقليمية في الساحات القريبة والبعيدة، فإنها تكافح أيضا مع صراعات الهيبة وتضارب المصالح بينهما لصياغة سياسة متفق عليها بشأن هذه المسألة، وأن الثغرات في موقف العديد من دول الخليج تجاه حماس والإخوان المسلمين تعرضت في السنوات الأولى من الاضطرابات في الشرق الأوسط على خلفية زخم بعض حركات الإسلام السياسي في المنطقة. وعرض كل من شيرا إيفرون وإيلان جولدنبيرج «سياسة الولايات المتحدة تجاه قطاع غزة»، وتناولوا تطور السياسة الأمريكية تجاه غزة بعد فك الارتباط عن إسرائيل في العام ٢٠٠٥. وناقشا أيضا فعالية النهج الأمريكي الحالي تجاه غزة وتحلل مصالح الولايات المتحدة، والقيود، والضغط على قطاع غزة. ويحللان مصالح الولايات المتحدة، والقيود، والنفوذ في قطاع غزة. استنادا للمصادر المفتوحة والمحادثات غير الرسمية مع المسؤولين الأمريكيين السابقين في مختلف الحكومات، ومع خبراء وموظفين من المنظمات غير الحكومية، ثم يقدم المؤلفان التوصيات السياسية الممكنة من الولايات المتحدة نحو غزة على المدى القصير والطويل.

– الكتاب: «أزمة قطاع غزة. مواجهة التحدي».  
– المؤلف: مجموعة مؤلفين.  
– الناشر: معهد دراسات الأمن القومي، يناير ٢٠١٨م، بالعبرية.  
– عدد الصفحات: ١٦٢ صفحة.

\* أكاديمية مصرية



تتطلب التوصل إلى حل دائم للصراع يتضمن إشارة إلى هذا البعد الاقتصادي. وأن هناك حاجة إلى الدعم الدولي من أجل التوصل إلى حل، ويجب أن يكون ذلك على رأس أولويات الحكومة الإسرائيلية قبل اندلاع حرب أخرى في ساحة غزة. يصف هذا المقال باختصار الخصائص الرئيسية لاقتصاد قطاع غزة، وكذلك التطورات المستقبلية.

أما المجموعة الثالثة من المقالات، فدارت حول المشاركة الإقليمية والدولية، وتناول أودي ديكيل أول «سياسة إسرائيل تجاه قطاع غزة»، ويرى أن الهدف من فك الارتباط الإسرائيلي عن قطاع غزة في صيف عام ٢٠٠٥ هو رفع العبء عن قطاع غزة، الذي يقترب حاليا من مليوني شخص فلسطيني لمواجهة التحدي المتمثل في بناء دولة مسؤولة. فنتائج فك الارتباط لم تلبّ التوقعات بعد نصف عام من تنفيذه، وقد فازت حماس بالانتخابات البرلمانية الفلسطينية وبعد عام من سيطرتها على قطاع غزة، فشلت المشاريع الاقتصادية والمدنية التي كان من المقرر تنفيذها كجزء من عملية بناء دولة فلسطينية، ولم يتوقف العنف والإرهاب من قطاع غزة ضد إسرائيل.

وعرض أوفير وبار لوبو «عقد من استيلاء حماس على غزة: وجهة النظر المصرية»، ويذكران أنه وبعد عقد من استيلاء حماس على غزة، من الواضح أن مصر تكيفت مع هذا الواقع؛ فمن ناحية: تعترف حماس بأنها القوة المهيمنة في قطاع غزة وتشكل عنوانا رئيسيا؛ من أجل تعزيز مصالحها الأمنية والسياسية والاقتصادية بشكل واقعي. وتعتبر مصر حماس شريكا ضروريا في القضاء على الإرهاب في سيناء، وتعتبر نهاية الانقسام الفلسطيني كمصلحة وطنية مصرية وفرصة لتعزيز دورها الإقليمي، وتبدو إيجابية في إمكانية تشديد الروابط الاقتصادية بين غزة وسيناء.

وعرض غالبا ليندستراوس «تركيا وغزة»، وأظهرت سياسة تركيا الثابتة منذ عام ٢٠٠٦م لدعم حماس، والتي ينظر إليها على أنها تسهم في وضع تركيا في العالم الإسلامي، على الأقل في الرأي العام، حتى التطورات

أحبط هذا الأمل من خلال سلوك حماس والتوفيق السياسي. وهكذا أصبحت حماس هدفا مشروعا لنشاط المعارضة المسلحة ضدها.

أما المجموعة الثانية من المقالات، فدارت حول البنية الأساسية في الأزمات، وتناولت كل من بينيدتا بيرتي وإليزابيث تسوركوف «الأمن الإنساني والاتجاهات الإنسانية في غزة: نظرة على العقد الماضي»، وقد استعرضا موجزا للصراع الدائر بين إسرائيل وحماس والقيود الاقتصادية المستمرة والعزلة الدولية لما حدث في العقد الماضي من تدهور في جميع مؤشرات الأمن البشري تقريبا في قطاع غزة، وأوضحا أن الحالة الخطيرة في غزة أخذت في التدهور بوتيرة ثابتة من حيث البيئة والاقتصاد والهيكل الأساسية والحكم. ومن المرجح أن يكون للأوضاع الراهنة أثر طويل الأجل على الاتجاه المستقبلي لغزة ومستقبل المنطقة بأسرها.

كما تناول جدعون برومبيرغ وجوليا جيوردانو وأوديد إيران وأومري العاد «أزمة المياه والكهرباء في غزة: عرض موجز للوضع ٢٠١٧»، وأوضح المؤلفون أن قطاع غزة يواجه حاليا أزمة إنسانية حادة ذات عواقب مدمرة ويشكل الافتقار إلى المياه النظيفة للاستخدام المنزلي وسوء الأوضاع الصحية تهديدا خطيرا لصحة نحو مليوني شخص يعيشون في قطاع غزة. وقد عبرت كميات كبيرة من مياه الصرف الصحي غير المعالجة حدود غزة، وهي ظاهرة لها آثار على بعض المجتمعات المجاورة.

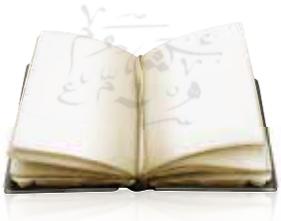
وتناول شيرا إيفرون وغوردن ر وفيشباخ وجوليا جيوردانو «أزمة المياه والصرف الصحي في غزة وأثرها على الصحة العامة»، ويوضح المؤلفون أن التحديات الملحة التي تواجهها غزة في مجالات المياه والصرف الصحي والكهرباء معقدة ومتشابكة؛ لذلك فمن المهم اتخاذ إجراءات فورية يمكن تنفيذها في إطار البيئة والقيود السياسية القائمة، التي ستساعد مع ذلك على التخفيف من حدة الأزمة وتقليل احتمال وقوع كارثة خطيرة في مجال الصحة العامة. وفيما يلي موجز لعدد من الجهود المتواصلة على المستوى الإقليمي أو الدولي:

- ١- شراء المياه: يجب تنفيذ الاتفاق الذي وقعته إسرائيل والفلسطينيون في صيف عام ٢٠١٧ بسرعة ببيع ١٠ ملايين متر مكعب من المياه إلى غزة. ومن الممكن خلط المياه المستوردة مع المياه الجوفية، وبالتالي خلق ٤٠ مليون متر مكعب من مياه الشرب، وسيكون من الممكن توريد خمسة ملايين متر مكعب من المياه، ولكن ينبغي إنشاء خط أنابيب جديد بين إسرائيل وغزة لنقل الكمية المتبقية.

٢- التخزين والتطهير أو معالجة المياه في المنازل: وقد تكون هناك حاجة إلى هذه الخطوة لمنع تفشي الأمراض المنقولة عن طريق المياه قبل إيجاد حل طويل الأجل.

٣- إمدادات الكهرباء لمعالجة مياه الصرف الصحي؛ وذلك من خلال بناء خط كهرباء مخصص يربط المورد في إسرائيل بمحطة معالجة مياه الصرف الصحي، كحل مؤقت أن يتيح التشغيل الفعال للمرافق ولكن نظراً لسوء حالة الشبكة الحالية المستخدمة لنقل الكهرباء بين إسرائيل وغزة.

وتناول ألون ريجر وإيران ياشيف «اقتصاد قطاع غزة»، ويرى أن العلاقة بين الوضع الاقتصادي في قطاع غزة والمواجهات المسلحة الجارية بين إسرائيل وحماس



## «طريق الهند الطويل: البحث عن الازدهار لفيجاي جوشي»

محمد السالمي \*

لطالما كانت الهند موضوع العديد من التنبؤات والآمال الباهظة.. فكتاب «طريق الهند الطويل: البحث عن الازدهار» من قبل فيجاي جوشي، هو دراسة للرحلة الاقتصادية للهند على مدى العقود الستة الماضية وتقييمها. ويتميز الكتاب بتغطية واسعة عن اقتصاد الهند ومناقشة النظرية الاقتصادية ذات الصلة. ويؤكد جوشي أنه ولكي تحقق الهند إمكاناتها الهائلة، يجب إعادة ترتيب العلاقة بين الدولة والسوق والقطاع الخاص بشكل شامل. وسيكون من الضروري تحرير أعمق وخصخصة أكثر اتساعاً. لكنها لن تكفي لتحقيق الأهداف الاقتصادية للهند.. الدولة بحاجة لأداء أكثر فاعلية بكثير من المهام الأساسية التي تنتمي تماماً في مجالها. الهند بحاجة لمزيد من السوق وكذلك أكثر من الدولة. إن الطريق الذي تتخذه الهند لن يهتم فقط حياة شعبها المليار نسمة، بل أيضاً في مجرى الاقتصاد والسياسة العالميين.

بفعالية. وعند النظر في بعض الحقائق: على الرغم من النمو الهائل للشركات، تباطأ نمو الناتج بشكل واضح، من 7 في المائة في المتوسط خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إلى 6,5 في المائة بعد ذلك. وقد انخفض نمو العمالة من 2 في المائة في الفترة 1990-2000 إلى 0,8 في المائة بعد العام 2010. وفي حين أن هذا قد زاد من إنتاجية العامل الواحد، فإنه يثير سؤالاً غير مريح: ما هي السياسة التي ستتخذها الحكومة لضمان وظائف لحوالي 18 إلى 20 مليون شخص سوف يبحثون عن عمل كل عام على مدى السنوات الـ 15 المقبلة؟ لا سيما في عالم لا تملك فيه الغالبية العظمى من الباحثين عن عمل المهارات التعليمية والتقنية المطلوبة؟ ويبدو أن الجواب هو النمو السريع للشركات المتوسطة والصغيرة في كل من الصناعات التحويلية والخدمات في جميع أنحاء البلاد، والتي لديها نسب أعلى من الإنتاج من الصناعات الكبيرة. ومع ذلك، وكما يجادل جوشي باستخدام مسح البنك الدولي للشركات والدراسات الاستقصائية السنوية لتسهيل ممارسة الأعمال التجارية، فإننا نقدم قيوداً لا يمكن تحملها على النمو والعمالة. وعدم القدرة على الحصول على اتصال كهربائي، وفشل إمدادات كهربائية يمكن الاعتماد عليها، وصعوبات في تسجيل الأعمال التجارية، وتأمين تراخيص البناء اللازمة، ومتاعب متكررة مع مفتشي

إلى النمو بنسبة لا تقل عن 7 في المائة سنوياً على مدى السنوات الـ 15 المقبلة. وإذا اتضح أن هذا النمو شامل، فإنه سيجعل الهند «بلداً ذا دخل مرتفع» بمقياس اليوم، كما أنه سيخفض نسبة الأشخاص الذين يعيشون تحت خط الفقر إلى حد كبير. ومع ذلك، يجادل جوشي مع سياسات العمل المعتاد؛ حيث من الصعب تحقيق حتى 6 في المائة سنوياً. كما يشير إلى أن الإصلاحات التي أجريت في الهند في بداية التسعينيات كانت فعالة، ولكنها الآن تنفذ من البخار وعلاوة على ذلك، كان النمو السريع للهند في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مدفوعاً بالسيولة النقدية والتوسع الاقتصادي العالمي. مثل هذه البيئة العالمية الحميدة يبدو من المستبعد جداً أن تعود في أي وقت قريب. وعلى الصعيد المحلي، لا يزال هناك تقدم ينبغي إحرازه في مجالات عديدة مثل ملكية القطاع العام، وإصلاحات المصارف، والقواعد التي تنظم الإفلاس والخروج، وتوفير الهياكل الأساسية، وخلق فرص العمل، وتقديم الخدمات العامة. وتشمل هذه المسائل الموضوعية التي من غير المرجح أن يكفي فيها الإصلاح من خلال التخفي، الذي كان الطريقة الهندية للقيام بهذه الأمور. وهناك أيضاً تناقض متزايد بين القطاع الخاص الديناميكي في البلد، وقطاعه الحكومي الضعيف وغير الفعال، حيث الحاجة إلى مزيد من التحرير. لكنه لا يكفي لأن الدولة لا تؤدي وظائفها الأساسية

وفي سياق تحقيقه، جوشي يدرس بعمق جميع المجالات الحاسمة للسياسة الإنمائية الهندية، بما في ذلك العمالة و«الانفجار الديموغرافي»؛ والاستثمار والإنتاجية؛ وأسواق السلع والموارد والتمويل؛ واستقرار الاقتصاد الكلي؛ ومصارف ومؤسسات القطاع العام؛ وعجز البنية الأساسية؛ والحماية الاجتماعية؛ وشبكات الأمان؛ والتعليم والرعاية الصحية؛ والاستدامة البيئية؛ والعلاقات الاقتصادية الدولية؛ وقدرة الدولة والمساءلة؛ والفساد ورأسمالية المحسوبية. ويشمل تصميمه للإصلاح الجذري مخططاً ميسوراً من الناحية المالية لتوفير «دخل أساسي» منتظم لجميع المواطنين من شأنه أن يزيل بسرعة الفقر المدقع. هذا الكتاب القوي وواسع النطاق، يضع فيه الاقتصادي المتميز فيجاي جوشي تحليلاً مهماً للأسس الهشة لأداء البلاد، ويرسم المسار الذي ينبغي أن يتبعه لتحقيق الرخاء على نطاق واسع. شغل فيجاي جوشي العديد من المناصب؛ منها: مدير صندوق جي.بي.مورغان للاستثمار الهندي، وعين خبيراً استشارياً لدى المنظمات الدولية مثل البنك الدولي ومنظمة التعاون والتنمية (OECD)، كما يعد زميلاً فخرياً في كلية ميرتون، في جامعة أكسفورد. جوهر الكتاب بسيط لكنه مدروس بعمق. ولكي تكون الهند بلداً مزدهراً وبنسبة فقر أقل بكثير مما هو عليه اليوم، تحتاج الهند



سوى القليل من التعليم. ومع ذلك، لا شيء من هذا يأخذ بعيدا عن قضية صاحب البلاغ لإعادة التفكير الكبرى في دور منظم للتعليم العالي، ولجنة المنح الجامعية.

xxxx

الكتاب مهم جدا عندما يتحدث المؤلف عما يجب القيام به. والأهم من ذلك أنه يقيم بطريقة غير منحازة كيفية أداء حكومة مودي؛ حيث يثني لمودي وحكومته على الجانب الخارجي وما تم القيام به من جذب الاستثمار الأجنبي المباشر، والتصدي للفساد لجعل الأعمال التجارية أسهل والمضي قدما في مزيد من التحرير على عكس حكومة أوبا. أما في مجال التنمية الاجتماعية، فإنه يعطي درجة مختلطة. وعلى الجانب الإيجابي، نجحت الهند في التعامل مع التحويلات النقدية. أيضا، هناك الكثير الذي يجب القيام به في التعليم والصحة، وهو موضوع غالبا ما أشير إلى في الكتاب.

«الطريق الطويل في الهند» لفيجاي جوشي، عالم الاقتصاد الكلي الرائد، يستحق أن يكون مطلوبا للقراءة لأي شخص مهتم في أداء الهند وأفاقها. يحلل جوشي تقريبا جميع المشاكل الاقتصادية في الهند بعمق كبير، كما نجح الكتاب في وضع تحليل وصفي رائع للاقتصاد السياسي في الهند بطريقة قابلة للقراءة، من دون المصطلحات أو الجبر. وتستند توصياته المعقدة والثابتة في مجال السياسات إلى حجج وأدلة دقيقة. ونتيجة لذلك، فإن الكتاب سيكون قيما ليس فقط للقارئ العام ولكن أيضا لصناع القرار. كما أنه سقدم نضا ممتازا لطلاب الاقتصاد في الهند. كما صنف الكتاب ضمن أفضل الكتب الاقتصادية حسب الفايينشال تايمز ولاقى استحسان الجمهور.

الكتاب: «طريق الهند الطويل: البحث عن الأزدهار».

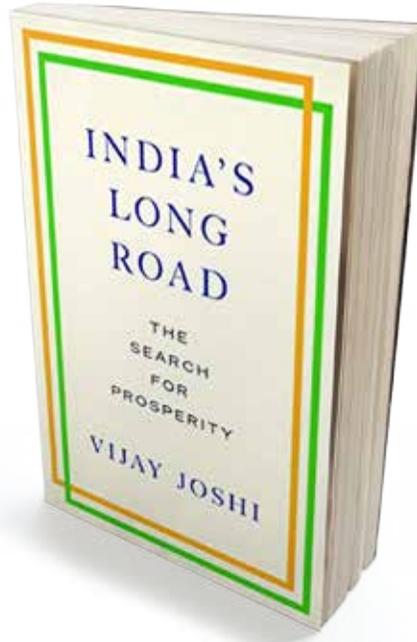
المؤلف: فيجاي جوشي.

الناشر: Oxford University Press.

بالإنجليزية.

عدد الصفحات: ٣٦٠ صفحة.

\* كاتب عُماني



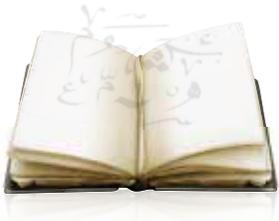
بأهمية الأداء المتفوق في الزراعة والتعليم لمستقبل الاقتصاد الهندي. كما أنه مقتنع بأن المزيد من الأسواق هي الطريق للذهاب في تحسين الأداء. بدءا من الزراعة، هناك قضية قوية للتحرير في مجال التسويق حيث تدخل الحكومة في شكل لجنة تسويق المنتجات الزراعية (أبمك) في المقاطعات؛ مما يحد من فرص المبيعات للمزارعين. وهناك أيضا اختلال وظيفي في شراء الأرز والقمح، مما يسهم في تراكم الفوائض، التي كثيرا ما يترك لتدويرها في العراء، مما يثبط نمو البقول الغنية بالبروتين. ولن يكون من غير المعقول التكهن بأن الثورة الخضراء في أواخر الستينيات وتسارع معدل النمو الزراعي في الخمسينيات من القرن الماضي كان سيجري في إطار سياسة عدم التدخل.

كما تطرق الكاتب للتعليم في الهند وعن دوره في رفع كفاءة العامل، ويرى جوشي أن قانون الحق في التعليم مصمم بشكل جيد، ولكن الطريق إلى تحسين الأداء هو عن طريق إعطاء دور أكبر للقطاع الخاص فقط قد يبدو مفرطا في التفاؤل. في مقارنة عالمية نجد أن أغلب الدول المتقدمة تعتمد بشكل أكبر على التعليم العام. وفيما يتعلق بالتعليم العالي، فإن مؤسسات التعليم العام يشاد بكفاءتها من الهندسة إلى الطب وحتى القانون والعلوم الاجتماعية، فهي من أفضل المؤسسات. وكثيرا ما كانت الكليات الخاصة أكثر من مجرد مؤسسات تهتم بالأموال التي لا توفر

الضرائب من خلال السعي للرشوة، وقوانين العمل اللاإرادي، ونقص مرافق النقل، كل هذه تأتي في طريق توسيع القدرات والإخراج وبالتالي، توظيف المزيد من الناس. الحكاية مثيرة للشفقة. وفي العام ٢٠١٤، كان الترتيب العام للهند في سهولة ممارسة الأعمال التجارية هو ١٣٤ من أصل ١٨٩ بلدا. لقد تحسنت بشكل طفيف في العام ٢٠١٥ إلى ١٣٠ من أصل ١٨٩.

ومن بين قطاعات الاقتصاد التي تطرق إليها الكاتب: قطاع التصنيع؛ حيث إن الاهتمام الذي تلقاه هذا القطاع من قبل صانعي القرار في الهند منذ الخمسينيات من القرن الماضي، لا مثيل له. ومنذ الثمانينيات، كان هناك تطور مستمر للسياسة نحو التصنيع -بعضها غير مباشر، في شكل إصلاحات في السياسة التجارية- وقد ركزت جميعها على جانب العرض كما لو كانت تحاول تقريب العمارة المؤسسية المثالية. غير أنه يمكن القول بأن هناك ثلاثة جوانب لنمو قطاع ما، وهي تهيئة بيئة مؤسسية مواتية وقدرات الموارد البشرية، وكلاهما معا يحدد وضع العرض والطلب. ويحدد البنية الأساسية والتعليم قدرات قطاع الصناعات التحويلية في بلد ما، والتي ستحدد بدورها ما إذا كانت قادرة على المنافسة عالميا أم لا. وقد تكون الصناعة الهندية قد حظيت باهتمام معقول من جانب صانعي السياسات فيما يتعلق بالهيكل المؤسسي، ولكن ربما عانت من ضعف البنية الأساسية والمستويات التعليمية المنخفضة للقوى العاملة التي كان يمكن أن تتضافر لتتركها غير قادرة على المنافسة في السوق العالمية. وبالمقارنة مع الصين، لا تزال الهند ضعيفة من حيث البنية الأساسية والتعليم على حد سواء، وهذه الأخيرة هي النقطة التي يدلي بها المؤلف. ومع غياب تنفيس عالمي خارجي لفائضها المحتمل بسبب عدم القدرة التنافسية، كان على الصناعة التحويلية في الهند أن تعتمد في الغالب على السوق المحلية. وبما أن إنتاج الخدمات مستقل عن إنتاج الصناعات التحويلية، فإن الطلب على نمو هذا الإنتاج الأخير يجب أن يأتي إلى حد كبير من نمو زراعي أسرع.

أما في القطاع الزراعي، فإن جوشي على دراية



## «فكرة أوروبا في عصر الأنوار»

محمد الشيخ \*

في زمن المخاوف والهواجس من عودة القوميات والهويات والخصوصيات والأصاليات إلى أوروبا، لا يملك المثقفون الأوروبيون سوى التذكير بماضي الفكرة الأوروبية. وهذا ما فعله بالذات الكتاب جماعي التأليف «فكرة أوروبا في عصر الأنوار»، والصادر في العام ٢٠١٧ بثلاث لغات، تحت إشراف كاتريونا سيث وروترود فان كوليسا، صدر تباعا بالفرنسية، وبالإنجليزية (مع ضميمة خاصة بالطبعة الإنجليزية)، وبالألمانية.. وهو تأليف جماعي اشترك فيه أساتذة، إلى جانب طلابهم، في تعاون بديع. في ديباجة الكتاب، تم بسط حيثيات تأليفه؛ فهو يتزامن مع الذكرى الستين لمعاهدة روما (تم إحيائها في يوم ٢٥ مارس ٢٠١٧)، والتي -للتذكير- كانت قد أرست دعامة الوحدة الاقتصادية الأوروبية (كانت قد وقعتها ست دول في البدء). وبعد سنين من هذا الحدث تحولت «السوق الأوروبية المشتركة» إلى اتحاد أوروبي يعد اليوم بين أعضائه ٢٨ دولة (٢٧ بعد انسحاب بريطانيا). على أن المشروع الأوروبي أمسى يثير بعض التحفظ والارتياح. وقد غدت ذلك كله النزعة الشعبوية الداعية إلى عودة الخصوصية والأصاليات والقوميات، والساعية لتحقيق الخلاص لطائفة من الساكنة تجاوزتها العولمة. وأمام هذا التحدي، أبدى باحثون متخصصون في القرن الثامن عشر الأوروبي -عصر الأنوار- رغبة في العودة للتعايير القديمة عن القيم المشتركة والتساؤلات الأوروبية الماضية التي لا تزال ذات راهنية. ذلك أن طائفة من حملة القلم في القرن الثامن عشر كانت قد تصورت مستقبلا للقارة بغاية التشجيع على إحلال السلم بأوروبا.

من الطبعة الفرنسية -التي تعد بمثابة الطبعة الأصلية- والطبعة الألمانية، وذلك من حيث أنها ذيلت فيها الديباجة بضميمة ذكر فيها كيف أن الأحداث الإرهابية التي شهدتها باريس في شهر يناير من عام ٢٠١٥ دفعت الجمعية الفرنسية لدراسات القرن الثامن عشر، وقد راعتها الأحداث وجو الريبة والخوف الذي استبد بفتات عريضة من المجتمع، إلى إنشاء متخيرات من نصوص المفكرين التنويريين حول التسامح، وروجت للكتاب الذي ضم هذه المنتقيات من النصوص بثمن زهيد لكي يصل إلى أكبر عدد من الجمهور؛ مما حدا بترجمة الكتاب في حينه إلى اللسان الإنجليزي. وقد تضافرت جهود الطلاب والمشرفين عليهم من مختلف التخصصات بجامعة أوكسفورد لكي يصدر ثمرة هذا الجهد -كتاب التسامح هذا- في الذكرى الأولى للأحداث الموما إليها سابقا (يناير ٢٠١٦). وها هي الجهود تتضافر اليوم لإخراج كتاب «فكرة أوروبا في عصر الأنوار» (٢٠١٧) من لدن فريق من الطلاب والأساتذة المترجمين والمتخصصين في تاريخ وفكر القرن الثامن عشر من مختلف البلدان بمن فيهم عرب وإيطاليون وإسبان وكوريون ويابانيون وصينيون... وذلك لربما بناء على فكرة الكاتب الألماني جوته (١٧٤٩-١٨٣٢) الشهيرة: من يعرف لغته وحدها دون سواها لا يعرف حقيقة لغته؛ إذ من شأن معرفة المرء بلغته ألا تتم بحق اللهم إلا من خلال مقارنتها باللغات الأخرى.

وتشير الضميمة الإنجليزية من الكتاب إلى أن الكثير ممن يدرسون اللغات الأجنبية أو يتحدثون بأكثر من لسان إنما شأنهم أن يكونوا من بين أولئك الذين يشعرون بأن المثل الأنوارية الأوروبية -شأن مثل «التسامح» و«العقلانية» و«الإيمان بمبدأ الاختلاف»... تبقى صالحة في زماننا هذا؛ وذلك

متراسة في جسد واحد». وتماثما مثلما فعل هذا الرجل، اقترحت مشاريع أخرى لتصور مستقبل أوروبا في إطار الوحدة، بعضها حلم صاحبه بحلم عريض طويل لكنه مستحيل، على نحو ما يتبين عليه الأمر اليوم، وبعضها كان أكثر واقعية، وبعضها تجاوزت أحلامه التجاوز. لكن ما اشتركت فيه هذه المشاريع هو إرادة التفكير في ما يجعل من أوروبا زركشة بديعة في إطار فريدة، وفي طرائق تصور مستقبلها، وفي احتفاء هذه المشاريع بتعدد أوروبا، وفي أملها بوحدتها.

هذا مع تقدم العلم أن الحلم بالوحدة الأوروبية حلم استمر يراود حتى كتاب القرن الذي تلا القرن الثامن عشر، شأن حلم الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو (١٨٠٢-١٨٨٥)، مثلا، الذي كتب يقول: «لسوف يأتي على فرنسا يوم، وعليكم أنتم أيضا معشر الروس، وعليكم معشر الإيطاليين، وعليكم معشر الإنجليز، وعليكم معشر الألمان، كلكم سيأتي عليكم يوم، يا أمم القارة، من غير ما أن تفقدوا سماتكم المميزة وفرديتكم المجيدة، تؤسسون فيه لوحدة أسمى متراسة، وتستكملون به الأخوة الأوروبية، وذلك مثلما كانت قد فعلت نورمانديا وبريتانيا وبرجونيا واللورين والألزاس، كل أقاليمنا هذه (الفرنسية)، التي انصهرت في بلد واحد موحد (فرنسا)». هو ذا ما كان قد سماه الكاتب «الولايات المتحدة الأوروبية». والرابط عنده الذي يحقق وحدة هذه البلدان إنما هو رابط التقنية: «بفضل من السكة الحديد لن تصير أوروبا قريبا أكثر مما كانت عليه فرنسا في العصر الوسيط. وها هو بفضل من السفن التجارية يتم اليوم عبور المحيط بعبور أيسر مما كان يعبر البحر الأبيض المتوسط في ما تقدم من الزمان ومضى». وقد باينت الطبعة الإنجليزية من هذا الكتاب كلا

والنصوص التي تم تجميعها في هذا الكتاب، وتبادل الأدوار في ترجمتها فيما يكاد يشبه سوقا للترجمة فرنسية-ألمانية-إنجليزية، نصوص ماهرة بأقلام أكبر كتاب ذلك الزمان: لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)، ومونتسكيو (١٦٨٩-١٧٥٥) الذي كان قد سماه رفاة الطهطاوي في رحلته: «ابن خلدون الغرب»، وهيوم (١٧١١-١٧٧٦)، وفولتير (١٦٩٤-١٧٧٨)، وروسو (١٧١٢-١٧٧٨)، وهردر (١٧٤٤-١٨٠٣)، وكانط (١٧٢٤-١٨٠٤)، كما هي موقعة أيضا من لدن مفكرين ومفكرات وكتاب وكاتبات منسيين ومنسيات في التاريخ الفكري والسياسي الأوروبي (شارل إريني كاستل دو سان بيير، مكسيمليان دو بيتوم، ديجو دو تويريس فيلارويل، لويس أنطوان كاراشيولي...). كان منهم ملوك كتبوا كتابات سياسية ظلت مجهولة (شأن نابليون). وهي نصوص تستعرض أنظار هؤلاء وأولئك في أوروبا وفي تاريخها وفي تنوعها، لكنها تعرض أيضا لما تشترك فيه الأمم التي تكون أوروبا في تعددها وفي جملتها الجغرافية. فضلا عن أنها نصوص تبرز الأصول التاريخية لفكرة «الاتحاد الأوروبي»، كما تبلورت في متون شأن «مشروع استدامة السلام بأوروبا» (١٧١٣) الذي كتبه الكاتب والدبلوماسي والأكاديمي الفرنسي المهد لحركة التنوير لابي سان بيير (١٦٥٨-١٧٤٣)، مقترحا من خلاله طرح حل مبتكر من شأنه التقليل من أثر الرجات العنيفة التي هزت بلده فرنسا والدول المجاورة لها زمن حرب خلافة العرش بإسبانيا. وهو اتحاد يرتئي صاحب المشروع أنه ينبغي أن يقوم على بديل مبتكر لتوازن القوى، كما ضمنه دعوة إلى الشراكة مع تركيا ومع بلدان المغرب العربي لكي يدمجها في الشبكات التجارية بالبدل من إقصائها. ويدافع صاحب المشروع عما يسميه «معاهدة إيالة عليا أو تحكيم أوروبي يجعل كل أعضاء أوروبا جملة



لخوسي كادلصو (١٧٤١-١٧٨٢)، وهو شاعر وكاتب مسرحي ورجل عسكر إسباني كتب على غرار «الرسائل الفارسية» لونتسكيو كتاب «الرسائل المغربية» تخيل فيها زوارا مغاربة يستكشفون إسبانيا ويحكون لبلديهم عما يكتشفون، حيث يكتب، مثلا، رجل إسباني إلى رجل من إفريقيا: «... أعلم أنك إنسان خير وأنتك تحيي في إفريقيا... وأنت بدورك تعلم أنني إنسان خير وأنتي أحيى في أوروبا. ولا أظن أننا بحاجة كبيرة إلى أن تكون لدينا فكرة طيبة عنم يكون الغير يا ترى. ونحن نقدر بعضنا البعض حتى من غير ما أن نتعارف، وذلك لدرجة أنه ما أن يلقي الواحد منا الآخر بأبسط لقاء حتى يصادقه...». كما يرى الأوروبي أن الإفريقي حتى وإن لم يكن ذا معرفة عريضة، فإنه ذو قلب طيب، وأن ما أوحج الأوروبيين إلى شيوخ أفارقة في الحكمة يعلمونهم ما الذي تعنيه طيبة النفس.

××××

لهذا الكتاب مزايا عدة.. فضلا عن كونه منجما لنصوص نادرة مستلة من أمهات الكتب في ذلك الزمان والتي صارت لفرط عواديه تكاد تكون نسية منسية للقارئ المعاصر، فإنه يشكل أمزوجة من النصوص التي لا توجد فيها عقيدة جامدة، ولا تجمد على رأي اعتباطي في الغير، وذلك على نحو ما تضمنه من منسوب عال من «النسبية الثقافية» الذي أسس لها الفيلسوف الألماني هردر، وهو المنسوب الذي لا يزال يفعل في فكر اليوم. كما أن الكتاب انطوى على «نبوءات» فريدة عجيبة، على نحو نبوءة الملك هنري الرابع. ملك فرنسا. بما سماه «مجلس عموم لأوروبا» تخيله بوفق بما يكاد يشبه البرلمان الأوروبي اليوم، وعلى نحو ما تخيله لابي دو سان بيير من «وحدة اقتصادية أوروبية» على شاكلة ما هو حاصل اليوم، بل وحتى على نحو ما تصوره شارل دو فيليبي من «سوق أوروبية مشتركة» تحققت بعد ذلك بقرنين من الزمن ونيف.

والحال أنه ما نسي جامعو الكتاب مقاومة «ذكورية الفكر»، بحيث أوردوا هم نصوصا عدة لكاتبات أوروبيات من كاتبات وصاحبات صالونات عصر الأنوار الفكرية؛ نظير المربية والكاتبة والصحافية الفرنسية ماري لو برانس دو بومون (١٧١١-١٧٨٠) الحاتة في كتاباتها على تعليم البنات، والأديبة والكاتبة الفرنسية فرانسواز دو كرافيني (١٦٩٥-١٧٥٨) الناقدة في أعمالها للعوائد الأوروبية، والكاتبة الروائية الشهيرة مدام دو ستال (١٧٦٦-١٨١٧) المنبهة في ما ألقت على الأصول الإيطالية للثقافة الأوروبية.

الكتاب: «The Idea of Europe».

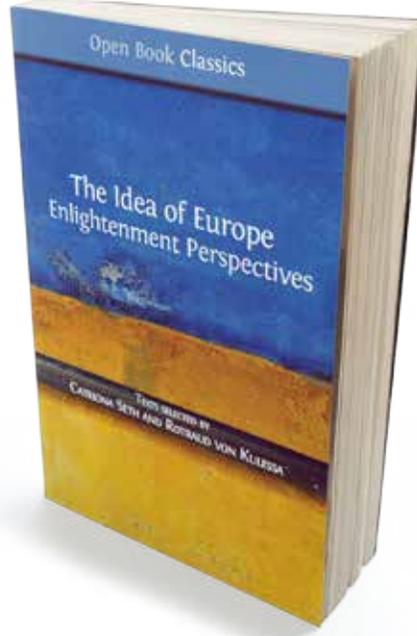
المؤلف: مجموعة مؤلفين.

الناشر: «University of Oxford».

بالفرنسية، والإنجليزية، والألمانية.

عدد الصفحات: ١٦٣ صفحة.

\* أكاديمي مغربي



نظرة الفرس إلى أوروبا؛ إذ يحكي في كتابه «الرسائل الفارسية» (١٧٢١) على لسان زائرين فارسيين لأوروبا -ريكا وأوزبك- كيف اكتشفا تعددية الأنظمة السياسية بأوروبا، وكيف تساءلا عن نظام الحكم الذي يكون مطابقا لمقتضى العقل أكثر من أي نظام آخر، وكيف تحسسا في أوروبا ربح الحرية القادمة من الشمال. فإلى نص الكاتب والناقد والفيلسوف الألماني أوجست فلهلم شليجل (١٧٦٧-١٨٤٥) عن دور ألمانيا في الثقافة الأوروبية، ونص أخيه الفيلسوف والناقد والكاتب فريدريش شليجل (١٧٧٢-١٨٢٩) عن أوروبا: أفولها وانبعاثها، وكلام فيلسوف التاريخ الألماني هردر عن تنوع أوروبا في وحدتها، وعن السعادة في أوروبا، وحديث الفيلسوف الإسكتلندي دافيد هيوم عن الحضارة الأوروبية وسماتها، فحديث المفكر السياسي الفرنسي بنيامين كونستانس عن نهاية الحروب بأوروبا.

وقد حظي العالم الإسلامي والصلة به لدى الأوروبيين ببضع نصوص وإشارات في الكتاب، وذلك بدءا بنص شارل إريني كاستيل دو سان بيير حول أوروبا والإسلام. وهو نص مقتبس من كتابه الذي أشرنا إليه سابقا -مشروع استدامة السلم- يعكس، لا شك في ذلك، المركزية الأوروبية الناشئة المزدخية بنفسها، حيث يذكر المؤلف أن الحكام المسلمين يخبثون وراء تلة المعرفة بالحقائق الباعثة التي من شأنها خلق الفرقة والشقاق لكي يسدلوا على شعوبهم حجابا من الجهل، وأن بمكنة أوروبا أن تقدم إليهم درسا بليغا في التنوير بالمعرفة، حيث يمكن أن يتعلموا منها تربية الشبية وتهذيبها بغاية تقدم الفنون والصنائع والمعارف، وأن الكنيسة سوف تريح كثيرا من ذلك؛ لأنه كلما كسب من يسميهم باسم «المحمديين» «المسلمين» أنوار ابتعدوا عن التعصب للعقيدة واستعدوا لتذوق جمال الدين المسيحي وكماله!

لكن الموازنة بين هذه النصوص الاستعدادية ونصوص أخرى أكثر سلاما تتحقق في نص بليغ

على الرغم من أن هذه المثل لطالما شكلت موضع نقد ومراجعة.

وبداية الكتاب أنشودة.. وهي أنشودة لأوروبا، أنشدها الشاعر الألماني فريدريش شيلر (١٧٥٩-١٨٠٥) وحملت العنوان «ترنيمة إلى أوروبا» أو «أنشودة لأوروبا» (١٧٨٥).

والحال أنه لا توجد في الكتاب -على خلاف ما كانت درجت عليه أغلب الكتب- فصول، وإنما توجد فيه نصوص مرقمة من واحد إلى تسع وسبعين تكاد تتفرق بالتساوي بين أسماء معروفة وأخرى مجهولة. وذلك بدءا من نص نبؤي مبكر، لكنه مغمور، يؤرخ لرغبة الملك هنري الرابع (١٥٥٣-١٦١٠) ملك فرنسا والذي كان في فترة مبكرة (١٥٨٩) قد أعلن عن رغبته في رؤية أوروبا مسيحية موحدة، حيث يمكن -حسب عبارات الملك- «تصور نظام سياسي تتشاطر فيه أوروبا وتقاد كأنها أسرة واحدة». وقد اعتقد الملك جادا أن لا أحد بمكنته أن يستغرب من الفكرة بسبب مما سوف تحققة من نفع: «وهو النفع الذي من شأنه أن يضمن لهم «لأمم أوروبا»، فضلا عن السلم الذي لا يقدر بثمن، أن يفوق بكثير التكلفة التي سوف يحملون على تأديتها حملا». وقد ورد كلام الملك هذا في سياق من النزاعات التي كانت تشهدها أوروبا آنذاك، ولا سيما المشاكل التي نجمت عن مشكلة توريث الملك الإسباني، كما انساق في سياق الرغبة في تهدئة النزاعات الدينية التي اجتاحت أوروبا بعد حركة الإصلاح الديني. وختاما بنص من توقيع فيكتور هيجو يتحدث فيه حديث نبوءة عن الثنائي فرنسا-ألمانيا بحسبانه ضمانه للسلم بأوروبا ودعامة (١٨٤٥). وما أشبه اليوم بالأمس!

وبين هذين النصين -النص المؤسس والنص المتنبئ- تعرض على أنظار القارئ نصوص ثرية تدور على أمور عدة تخص فكرة «أوروبا» في عصر الأنوار: منها؛ فكرة مشروع استدامة السلم (لابي سان بيير) الذي أراد أن تصير أوروبا موحدة بتوحد عاهلي أوروبا، بينما أرادها جون جاك روسو -تلميذه وباسط فكرته- وحدة لشعوب أوروبا وليس لعاهليها، ذاهبا إلى أن من شأن أناية الحكام أن تكون مدعاة للريبة في أمر تحقق حلم الوحدة الأوروبية. أما الفيلسوف الألماني كانط، فقد رأى -في كتبه: «مقالة فلسفة في مشروع السلام العالمي»- أن السلم في أوروبا ينبغي أن يبنى على مبادئ «الحرية» و«المساواة» و«الأخوة». هذا فضلا عن نص للمؤرخ البريطاني الشهير إدوارد جيبون (١٧٣٧-١٧٩٤) حول تجاوز الحدود القومية، حيث يرى أن: «من شأن الإنسان ذي الحمية الوطنية أن يفضل، من غير شك، مصلحة بلده ومجدها، وأن يسعى جاهدا إلى تحقيق ذلك المبتغى، لكن من شأن الفيلسوف أن يوسع من آفاق أنظاره، وأن يعتبر أوروبا كلها وكأنها جمهورية واحدة». فإلى نص فولتير عن غنى أوروبا الذي يكمن -في نظره- في ميراثها الثقالي المتنوع، ونص الفيلسوف الفرنسي كوندورسيه (١٧٤٣-١٩٧٤) حول ضرورة إيجاد القوانين لتحقيق السلم، ونصي مونتيسكيو حول التجارة بأوروبا، وحول



## «ليالي قليلة وليلة».. لليوناني إيسيدوروس زورغوس

ذيمتريس سيليكوس \*

تعدُّ ثسالونيكى أهم مدينة فى الإمبراطورية العثمانية، بعد القسطنطينية. إنها الميناء متعدد الثقافات بمنطقة البلقان بما لها من ريادة اقتصادية وتجارية حتى العقود الأولى من القرن العشرين. إنها المسرح الرئيس للأحداث التى تسردها رواية الأديب إيسيدوروس زورغوس وعنوانها «ليالي قليلة وليلة»، التى صدرت فى شهر مارس من العام ٢٠١٧. تتناول الرواية فترة ٧٠ عاماً، منذ ربيع عام ١٩٠٩ حتى صيف عام ١٩٧٩، وتدور حول محورين للسرد: تاريخ المدينة المضطرب فى القرن العشرين وعلاقته مع قصة حياة ليفتيريس زيفغوس، هذا الصبي الذى يبلغ من العمر تسعة أعوام وينتمي لأسرة يونانية فقيرة. إن ليفتيريس -ابن بستاني فى فيلا ألاتيني- كادح فى حياته، سوف يكون شاهداً على جميع الأحداث المدوية التى أثرت بشدة على المسيرة التاريخية لمدينة ثسالونيكى المعروفة بلقب «عروس خليج ثرمايكوس»، من خلال تجاربه الشخصية، وغرامياته، والكفاح فى الحياة. فبينما كان مثل «الفأر» المتطفل داخل فيلا ألاتيني، التى استضافت السلطان عبدالحميد -آخر سلطان للإمبراطورية العثمانية- أثناء إقامته الجبرية، حتى وصوله إلى رجل أعمال مهم، يتأثر ليفتيريس بحبه إلى فتاة مسلمة من أصل يهودي (من طائفة الدونمة)، اسمها ميرزا، إضافة لتعجُّله للفرار من الفقر وتحقيق النجاح.

يتبادلان الوجود فى الرواية بشكل فعليٍّ أو مجازي، وتترك للقارئ شعوراً عميقاً بالبحث الوجودي عند الكاتب. إن عادة إشعال النيران فى عيد القديس يوحنا، من العادات الوثنية القديمة التى استمرت فى الديانة المسيحية، تصنع الرابط الأول بين الأبطال. الحريق الكبير الذى اندلع فى ثسالونيكى عام ١٩١٧ يدمر المدينة، إضافة لجميع مقتنيات ليفتيريس. إلا أن ذلك يُقربُه أكثر من الغرام فى حياته، ويصير مُحدداً حاسماً لبداية جديدة. إن «نار» الحربين العالميتين تقتل وتقوم بإحياء حياة الاثنين. الظلام فى المصنع المهجور أو فى بدروم الفيلا، يحمي حياتهما من عيون النازيين وتنقذها. إن إصابة ليفتيريس بالعمى لا تلغي حياته مع حبيبته. تتجاوز الأحلام فى فيلا ألاتيني الواقع الاجتماعى الصعب. على امتداد الرواية، نجد فى سرد الكاتب زوغوس تعدد المستويات، مع تبديل الذهاب والإياب فى الزمن على فترات قصيرة منتظمة. إن القارئ لا يقرأ كتاباً يروي قصة ما، بل يقرأ رواية بداخل رواية أخرى. تتوافر بذلك إمكانية قيام الكاتب الطبيعى بمناقشة، موسعة، لموضوع العلاقة بين الفن والحياة. لا يمكن للفن أن

تحقيق النجاح. لا تمتدُّ رحلة ليفتيريس فقط على مدار الزمن، بل تمتد وتشمل أيضاً مناطق مختلفة فى أوروبا واليونان، عندما تتغير الظروف وتضغط من أجل إحداث تغييرات. إن «رجل الرخاء الفردي»، الذى لا يتوانى عن تغيير عقيدته من أجل حبه، يمثل النسبية فى الحركات القومية التى اندلعت فى أوروبا فى بداية القرن العشرين. إن حدود التحمل الإنسانى تتجاوز أيديولوجيات طبقية أو قومية فى «بوادي أوكرانيا». يصبح الهروب أمراً للبقاء على قيد الحياة، وتزييف الهوية نهجاً عملياً، بينما تقصف الحروب بحياة ملايين الأبرياء. مارسيليا، وبيريه، ومنطقة فثوتيدا الجبلية، وأنتويرب، وThsaloniki من جديد. إن دائرة المكان عند البطل تمر من خلال غراميات، وثناء، ودمار، وحروب جديدة، من زاوية شخص تجعله مصادفة الأوضاع دائماً فى حالة تأهب. يتخلى عما يمكنه أن يحتفظ به ثابتاً لمدة ما. الشيء الوحيد فى المكان والزمان الذى يعد بمثابة المرجعية، الحبل السُّرى لوجوده، هو شارع «إكسوخون» فى النصف الثانى من القرن العشرين. النور والظلام، الحلم والواقع، قطبان

إن الخلفية التاريخية التى تتناسب مع مكونات طابع بطل الرواية، تتعلق أساساً بمدينة ثسالونيكى، التى تتميز بالتسامح، وتعددية اللغات والثقافات التى توفر الإمكانيات لجماعات مختلفة فى اللغات، والأصول، والديانات أن يعيشوا ويموتوا بها. أتراك، ومسلمون، ويهود من طائفة السفارديم أو الدونمة، ويونانيون مسيحيون -أرثوذكس أو كاثوليك- وبلغاريون، وأرمن، وصرب، ولاجئون، وتجار أثرياء، وصيارفة، وكادحون، وبيروقراطيون، ومحتالون، ووشاة، وأرباب منازل، وعاهرات، جميعهم يشكلون المدينة المحبوبة للكاتب وبطل روايته، الذى يشبه «زوربا» آخر أو «أوديسياس» آخر من نتاج خليط التعددية الذى يميز هذه المدينة. إن ليفتيريس زيفغوس -فى كثير من الأحيان- داخل الرواية، يختار بنفسه من يريد أن يكون وما المسيرة التى سوف يتبعها، دون تردد أو شعور بالذنب. ربما نظراً لانتهاجه الحياة الطبيعية متأثراً بنموذج والده، الذى تحول من أرثوذكسي إلى كاثوليكى، بسبب الحب، فيقوم هو الآخر بتغيير اسمه، وجنسيته، ولغته، وحاميه، ووطنه، متبعاً ذات القوى المحركة فى حياته: الحب والحاجة إلى



هذه الرواية هو صدى التعايش السلمي بين الأديان، واحترام الاختلاف فيما بينها، والحوار الصادق بروح التفاهم والسلام.

إن رواية «ليالي قليلة وليلة» -وهو تحويل لعنوان القصص العربية الشهيرة- تقوم بالتقريب بين الشرق والغرب في البيئة النموذجية لمدينة ثسالونيكى في القرن العشرين. نأمل أن تُترجم قريباً إلى لغات أخرى حتى تنجح في الإسهام بصورة أفضل في التقارب بين الثقافات.

يزيدوروس زورغوس مؤلف يوناني.. ولد في ثيسالونيكى في عام ١٩٦٤، وحصل على بكالوريوس في التربية والتعليم، ويعمل مُدرّساً في مدرسة ابتدائية في ثيسالونيكى، له إسهامات شعرية ونثرية، فضلاً عن كتابات ببلوغرافية نقدية نشرها في مجموعة مختلفة من المجلات والدوريات. كما شارك أيضاً في القضايا المتعلقة بتدريس الأدب في المدرسة الابتدائية وتاريخ التعليم.

من أعماله الروائية المنشورة: فراوست (٢٠١٠م) مقتطفات من كتاب المحيط (٢٠٠٧/٢٠٠٠م) نواة ذلك الصيف (٢٠١٠/٢٠٠٢م)، في ظل فراشة (٢٠٠٥م)، فطيرة العنديل (٢٠٠٨م)، كلمات لا أهمية لها، وروايته مشاهد من حياة ماتياس أموسينو (٢٠١٤م) واحدة من أروع كتاباته. إنها رواية متعددة الأنواع تظهر مهارة استثنائية؛ لأنها تمتد على عوالم العلم، والتاريخ، والفلسفة، والطب، والدين، والفضن، واختراع الكتابة، والنمو العاطفي.

-----  
- الكتاب: «ليالي قليلة وليلة».

- المؤلف: إيسيدوروس زورغوس.

- دار النشر: باتاكيس، أثينا، ٢٠١٧م، باليونانية.

\* مدرس اللغة والأدب اليوناني في

جامعة ثسالونيكى



سرد مغطى في إطار تعاون المؤلف أورستيس و«الحقيقي» ليفتيريس/ يوجينيوس تجري أحداثه في يونيو ١٩٧٩. في هذا الفضاء الروائي يمكن رصد مستويين متميزين: الانطباع الروائي لحياة البطل التي كتبها أورستيس، والحياة «الحقيقية»، وهذا يعني الظروف الحقيقية لحياة البطل. ونظراً لأدبية هذا العمل، فإن قارئه يتخيل أنه يقرأ كتاباً يحتوي على حياة ليفتيريس/ يوجينيوس في نفس الوقت كما يفعل البطل نفسه، حين يشهد ردود فعله وتعليقاته. وفي الوقت نفسه، فإنه يشهد أيضاً قلق المؤلف بشأن استقبال الكتب من المستمع الأول لها، الذي سيؤكد له صدق السرد. يستخدم زورغوس هذا الأسلوب الأدبي للتحقيق في رد فعل الحياة والفضن ومشكلة تمثيل العالم الحقيقي في عالم الرواية.

تترك نهاية الرواية مذاقاً متفانلاً لانحصار الحب، رغم مرور الزمن والتغييرات العملاقة في المجتمع. العنصر الذي يذهب ويأتى في نقاط عديدة، يتعلق بالحب الذي يستطيع أن يتجاوز الحواجز بين الديانات الرسمية، والمحظورات؛ وذلك بواسطة عقد الزواج بين أشخاص ينتمون إلى عقيدة مختلفة، من أجل الطرف الآخر. إن الصدى الذي يرتبط بسرد

يعيد تشكيل الحياة. إن ليفتيريس أو إفجينيوس زيبدو يكرر ذلك مراراً وبوضوح إلى الشاب الذي يكتب رواية سيرته الذاتية: لم تحدث الأشياء بهذه الصورة. لا يمكن أن «تُقال» الحياة إلا من خلال إعادة التعبير عنها من خلال الضن، أو بالأحرى كحياة جديدة. وبالتالي تفقد -بصورة حتمية- ما نتخيله عن «الموضوعية». إلا أنها فرصتها لتشكيلها بحرية بأيدي الفنانين. في هذه المساحة من الحرية تكتسب علاقة أخرى مع الزمن. بينما توجد لحياة شخص ما حدود زمنية ضيقة، عندما تصبح عملاً أدبياً فإنها تتجاوز هذه الحدود. بإمكانها أن تنتصر على الموت الطبيعي للبطل وأن تكتسب الخلود، طالما هناك بالطبع من يقرأ سطور الكاتب.

في كتابه الجديد، حاول إيسيدوروس زورغوس تقديم تاريخ ثسالونيكى بالتوازي مع قصة بطله؛ وبالتالي تكثيف تاريخ المدينة في القرن العشرين وتحويله إلى رواية. إذا كان هذا حقاً أحد أهداف زورغوس، فإنه بالتأكيد يحقق نجاحاً كبيراً. والهدف من ذلك صعب ومفرط في الطموح. هناك توازن دقيق وتقنية السرد مُركبة تتطلب الإتقان والمعرفة والمهارة والموهبة. زورغوس يمتلك هذه القدرات بوفرة والكتاب دليل على ذلك. في بعض الأحيان، يبدو أن التاريخ يهيمن على الإبداع الأدبي حيث إن دمج المعلومات التاريخية في السرد ينمو أكثر من سرد الرواية. ويبدو أن تاريخ المدينة يحمل جاذبية أكبر لزورغوس من قصة أبطاله. وهكذا، ينقطع سرد قصة ليفتيريس/ يوجينيوس وميرزا على فترات منتظمة من خلال سرد أحداث ليلة واحدة في يونيو ١٩٧٩، عندما تنتهي القصة. على مدار تلك الليلة أورستيس، المؤلف الشاب، يقرأ على المُستَين ليفتيريس/ يوجينيوس الرواية التي كتبها وتناول موضوع حياته. الكتاب الذي يبدأ بقول أحداث أبريل ١٩٠٩ هو مجرد



## عصر التضخم لمجموعة مؤلفين

محمود عبد الغفار \*

كعادة مصممي أغلفة الكتب في كوريا، هناك ربط واضح بين صورة الغلاف ومحتواه. إلى جانب عرض لأهم أفكاره عبر الجمل التي تم وضعها عليه. لقد اختير وضع عنوان بالإنجليزية يشير إلى «التضخم» فحسب، بينما العنوان باللغة الكورية هو «عصر التضخم»، والفارق بينهما كبير بكل تأكيد. فالتضخم مصطلح يمكن للقارئ تخيل قيام الكتاب بشرحه وتناوله من زوايا عديدة، بينما «عصر التضخم» يشير إلى مرحلة تاريخية معينة بلغ فيها التضخم مبلغًا واضحًا إلى الحد الذي جعله سمة لهذا العصر، الأمر الذي يفتح الطريق أمام العديد من التساؤلات حول طبيعة هذا التضخم ومدى تأثيره على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكلها أسئلة مشروعة دون شك، لأنها حول ظاهرة وصفت بها حقبة زمنية كاملة. أسفل هذا العنوان تأتي عبارة «لقد تم الانتباه إلى النقود المحررة». ثم أسفل صورة اليد الممسكة بخيوط تتعلق بأسفلها أيقونة العملة الأمريكية العالمية «الدولار» فيما يذكرنا بيد فنان مسرح العرائس الممسك بعروس الماريونيت يحركها كيفما شاء. ثم أسفل هذا الرسم وضعت ثلاث دوائر ذات صلة وثيقة بمحتويات الكتاب كما أشرنا من قبل: - مقترحات «لي جين أو» بشأن فرص الاستثمار المتاحة لـ إم بي سي. - النموذج الذي أوصى به المحرر الصحفي «كيم وون جانغ» لـ كي بي إس. - إدارة الأعمال تأتي في صدارة الأكثر مبيعًا. ثم أسفل هذه الدوائر يأتي تساؤل كبير فحواه «أين ذهبت كل تلك النقود التي لا قيود عليها في السنوات الثماني الماضية؟

في إنجلترا، كما ترأس مجموعة «هانا» الاستثمارية بجانب خبراته على مدار ما يزيد عن عشرين عامًا بشأن كل ما يتعلق بالأسواق المالية في كوريا الجنوبية. تلك الخبرات التي ظهرت بوضوح في برنامجه الشهير في محطة «إم بي سي» الإذاعية «نحن وعالم كيم دونغ هوان» والذي يتناول فيه المسائل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بكل سلاسة وتبسيط ممكنين بحيث يستطيع المستمع العادي أن يفهم كل ما يقال حول إدارة الأموال والأعمال بوضوح. هذا إلى جانب ما يكتبه للتلفزيون تحت عنوان «وجهة نظر كيم دونغ هوان». أما كيم إل جو «فقد تخرج في قسم الاقتصاد بأرفع جامعة كورية وهي جامعة سيول الوطنية، وهو الآن خبير اقتصادي يترأس مركز «هان هوا» للدراسات والبحوث الإدارية والاستثمارية. المؤلف الثالث وهو «كيم هان جين» يترأس الفريق البحثي بمركز «كي تي بي» للاستثمار كما يترأس عددًا من

وراء كل ذلك إلى أن يكون القارئ على دراية بما يجري في العالم من تغيرات اقتصادية في ظل الموجة الرابعة من الثورة الصناعية؛ تلك الموجة التي تحدث عنها كتاب كوريون كثيرون، والتي عرضنا لها في سياق سابق بهذا الملحق. أما الهدف الأهم الذي يسعى إليه المؤلفون فهو النهوض بالاقتصاد الوطني من خلال عرض أفكار حكيمة صادرة عن خبرات خاصة في مجال الاستثمار البتء مستنديين في ذلك إلى توجهات سيكولوجية لها تأثيرها الفعال على العقلية الكورية من قبيل إن المرء في هذا العالم ليس عليه أن يتلقى التغيرات المتسارعة حوله باستجابة القانع بأنه مجرد نقطة في محيط لا حيلة لها، وإنما عليه أن يثق في قدراته على إحداث تغيير وأن لا يستهين بهذه القدرات مهما كانت العقبات.

مؤلفو الكتاب وهم: «كيم دونغ هوان» الاختصاصي في مجال الاستثمار وإدارة الأعمال في جامعة برمنجهام

أما مقدمة الكتاب فتنبني على عبارة أساسية فحوها الرغبة في الكشف عن خطة النضال لأجل تحقيق الثراء ثم استثماره على نطاق واسع، وذلك من منظور ثلاثة من صفوة الاقتصاديين في كوريا الجنوبية وهم كيم دونغ هوان وكيم إل جو وكيم هان جين. فالالاقتصاد العالمي والاقتصاد الكوري يواجهان- على حد تعبير المؤلفين- «التواء أو انثناء» غير مسبوق. هذا المنظور الثلاثي ينطلق من الأصول المالية ليقوم الموقف الراهن متسائلًا عن الأصول المالية للسوق هذه الأيام في بورصات الأوراق المالية وسوق العقارات وعلاقة كل ذلك بل وتأثيره وتأثره بمعدلات أسعار الفائدة وكذلك أسعار صرف العملات. حيث يقوم المؤلفون بدراسة الوضع الاقتصادي لكوريا والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وكذلك دراسة سياسات «ترامب» المالية التي يرون أنه من الصعب التعرف على عناصرها وظروفها المواتية. يهدف المؤلفون من

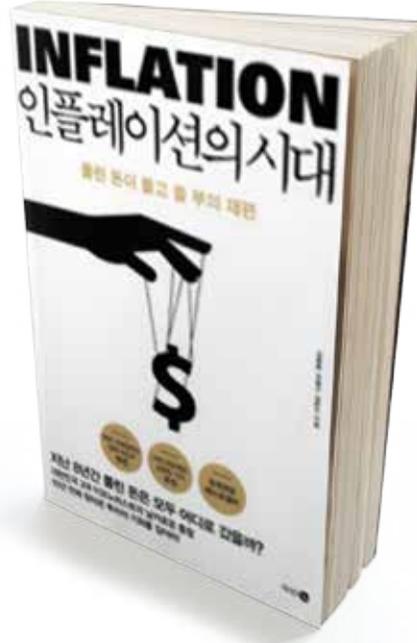


الأمريكي ترامب المتعلقة بالاقتصاد بشكل خاص. أما الباب الرابع فيتألف من ثلاثة فصول كذلك ويأتي تحت عنوان منحوت من اسم الرئيس ترامب فيما يمكن حرفياً ترجمته إلى «الاقتصاد الترامبي أو ترامبنوميكس» ليتأمل المؤلفون الفرص الاقتصادية والاستثمارية المتاحة وكذلك المخاطر المحتملة جراء سياسات هذا الرئيس، ومدى تأثير تلك السياسات على الاقتصاديات العالمية. تشير تسمية «ترامبنوميكس» إلى العلاقة الوطيدة بين سياسات الرئيس الأمريكي المالية وعلاقتها بالتضخم العالمي. في الباب الخامس الذي يحتوي على فصلين يتناول المؤلفون التوقعات المحتملة للاقتصاديات المستقبلية، وأشكال تلك الاقتصاديات بدءاً من 2018م على وجه التحديد. ثم يركز الباب السادس والأخير من الكتاب، وعبر ثلاثة فصول، على التوقيت المناسب والمجالات المناسبة للاستثمار المستقبلي للأفراد والمؤسسات والاقتصاديات الوطنية بشكل عام في ظل التوصيات والنصائح المقدمة لتجاوز مرحلة أو عصر التضخم من أجل عودة الاستقرار المالي لسابق عهده بما ينعكس على السياسات المالية للدول والمؤسسات والشركات الخاصة بل والأفراد كعناصر استثمار مهمة في الموجة الاقتصادية أو الحقبة الاقتصادية الرابعة على نحو ما يطلق عليها الآن.

عنوان الكتاب: عصر التضخم

المؤلفون: كيم دونغ هوان، كيم إل جو، كيم هان جين  
دار النشر: داسان  
سنة النشر: أغسطس 2017م  
عدد الصفحات: ٤٤٨  
اللغة: الكورية

\* مدرس الأدب الحديث والمقارن  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

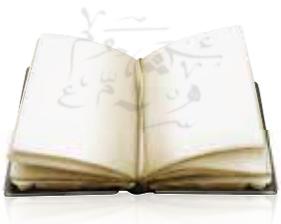


أو تشخيصاً لخريطة الاقتصاد الكوري وكذلك النمو المحتمل للأسواق الاستثمارية والاقتصادية الكورية. الفصل الثاني بعنوان «ما تأثير التصدير على اقتصادنا الوطني الآن؟». أما الفصل الثالث فعنوانه «الدروس التي نتعلمها من العشرين سنة الضائعة من اليابان». يتوقف الفصل الرابع بعنوان «التكتلات والقيادة السياسية ومشكلة ارتفاع الضرائب» عند إعادة هيكلة التكتلات الاقتصادية والسياسية في كوريا في الحقبة الأخيرة، وتحرير الأسواق المالية في ظل الديمقراطية الاجتماعية والسياسية غير المسبوقة. يتألف الباب الثالث بعنوان «ماذا عن الاقتصاد العالمي؟» من ثلاثة فصول. يتساءل المؤلفون في الفصل الأول عن انتهاء الأزمة الاقتصادية الأمريكية من عدمها، وكذلك عن البنك الفيدرالي الأمريكي للأوراق المالية وانخفاض معدلات الفائدة وعلاقتها بالتضخم. ينتقل الفصل الثاني من تشخيص الاقتصاد الأمريكي إلى تشخيص الاقتصاد الصيني. ثم الاقتصاد الأوروبي في الفصل الثالث. في هذه الفصول هناك مقارنات مستمرة بين سياسات زعماء الدول في أوروبا وآسيا وسياسات الرئيس

مراكز البحوث الأخرى. ومن قيمة هؤلاء المؤلفين وخبراتهم الواسعة يكتب الكتاب أهميته وقيمه لدى المشتغلين بالاقتصاد والقراء العاديين كذلك.

يتألف الباب الأول من الكتاب من أربعة فصول. في الفصل الأول المعنون بـ«الريح الشديدة لسوق الأوراق المالية يرى المؤلفون أن سوق الأوراق المالية هي مرآة الاقتصاد الكوري. كما يتناول هذا الفصل أيضاً سوق الأوراق المالية العالمي واستراتيجيات الإنتاج والصناعة في الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك سياسات الاستثمار الأمريكية وتأثيرها على الهيكل البنائي للاقتصاد الصيني وعلى الشركات الكورية والاقتصاد الكوري بشكل عام. في الفصل الثاني بعنوان «سوق الاستثمار العقاري» يتناول العديد من النقاط المتعلقة بوحدة من أهم وأكثر الأسواق الاستثمارية رواجاً في العالم وهي السوق العقارية. هذه السوق وثيقة الصلة بطريقة الأسرة أو العائلة في إدارة مواردها المالية وأيضاً تأثير شركات المقاولات والتسويق العقاري على الاستثمار الفردي والجماعي في هذا القطاع الحيوي جداً ضمن قطاعات الاقتصاد المحلي والعالمي. يتناول الفصل الثالث معدلات سعر الفائدة على المستوى المحلي في كوريا وعلى المستوى العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الدول الأوروبية. ثم يتناول الفصل الرابع معدلات سعر صرف العملات مركزاً على العملة الأمريكية «الدولار»، وتأثير السياسات المالية الأمريكية على الأسواق العالمية وعلاقة ذلك كله بالتضخم في عصر الرأسمالية العولمية.

يتكون الباب الثاني من أربعة فصول كذلك ويأتي تحت عنوان «كيف نرى اقتصادنا الوطني؟». في الفصل الأول بعنوان «الوجه الحقيقي للمخطط الاقتصادي» يتناول المؤلفون تخطيطاً



## ما وراء الحصافة السياسية - بولندا وأوروبا والكنيسة بين العدمية والإسلام .. لبافل ليشيتسكي

يوسف شحادة \*

كتاب «ما وراء الحصافة السياسية - بولندا وأوروبا والكنيسة بين العدمية والإسلام»، للكاتب الصحفي البولندي بافل ليشيتسكي، أحد المؤلفات الجريئة في عالم السياسة والدين والرؤية الفكرية الناقدة المتطرفة. يعد ليشيتسكي واحدا من أعمدة الصحافة في بولندا، فقد تولى رئاسة تحرير صحف ومجلات كبرى في بلده، وأصدر عددا كبيرا من الكتب التي تعالج القضايا الدينية من وجهة نظر سياسية وفكرية، نذكر منها: «إله غير إنساني» (1990)، «الكمال والبؤس» (1997)، «نقطة الارتكاز» (2000)، «العودة من العالم الغريب» (2006)، «من قتل يسوع؟» (2013)، «سر ماري المجدلية» (2014)، «هل يسوع هو الرب؟» (2014)، «الجهاد والتدمير الذاتي للغرب» (2015)، «أيدينا ملوثة بالدماء؟» (2016)، «لوثر. الجانب المظلم من الثورة» (2017).

حروبهم في الشرق كانت ردة فعل على اعتداءات المسلمين على المسيحيين! وهو وإن لا يمتدح ما قام به الصليبيون من قتل وترويع، نجده يستجدي المسوغات لتلك الموبقات زاعماً أن الحروب يحدث فيها تجاوزات فظيعة تركتها أطراف النزاع كلها. بل الأفظع من ذلك أن ليشيتسكي يدعو إلى حرب صليبية الآن للدفاع عن مسيحيي العراق وسوريا!

في مباحث الفصل الثاني يلتفت المؤلف إلى مستقبل الكنيسة في بولندا، ويلاحظ ابتعادها عن الشعب، لتصبح مثل كنائس بعض البلدان الأوروبية (إسبانيا، إيرلندا، بلجيكا) التي كانت كاثوليكية فيما مضى. ويؤكد أن المسيحية ستموت في كل مكان يعلى فيه الإنسان (ونزواته) إلى المنزلة الأولى، بدل إعلاء الرب. ويناقش متأملاً قضايا العالم المسيحي، ومستقبل الكنيسة الكاثوليكية، وصراعها مع العلمانية، ونزوع الليبرالية إلى التحرر من كل العادات والتقاليد، ولا يرى أملاً في خروج أوروبا من أحوالها الدينية المندوهرة إلا بمعجزة. ويرى أن على الكنيسة التحلي بالجرأة والشجاعة في اتخاذ مواقفها، والتصدي لوسائل الإعلام الليبرالية الشرسة، التي تهاجمها. وهي تستغل أطروحات اليسار والتيارات النسوية التي تقف في صف الدفاع عن حقوق المرأة، ومنها حق الإجهاض. ومسألة تحريم الإجهاض، وتناول وسائل منع الحمل، مسألة مطروحة بقوة في الشارع البولندي، حيث شرع القانون البولندي، بتأثير من الكنيسة، تحريم الإجهاض اعتماداً على نصوص دينية، تقول بوجوب حماية الجنين منذ لحظة تخلقه في رحم أمه.

لا يخلو الكتاب من عنوانات ساخرة، تحتوي على نصوص لاذعة، مثيرة لاهتمام القارئ، منها تعبير: «قوة أظافر النساء». يروي المؤلف تحت ذلك العنوان قصة احتجاج اللاعبات السويديات المشاركات في بطولة العالم لألعاب القوى، التي جرت في موسكو، حيث احتججن على المرسوم الذي وقعه فلاديمير بوتين، وفيه دعوة لمعاينة من يروج للشذوذ الجنسي أمام القاصرين. ويسخر المؤلف من احتجاجات السويديات، فيقول بدلاً من الاهتمام

فترة بابوية بندكت السادس عشر، فيصف عهده بعدم وضوح الرؤية، والتردد في اتخاذ القرارات الفعالة لوقف تدهور أحوال الكنيسة. وينتقل إلى نقد آراء البابا فرنسيس، إذ يلحظ كثيراً من السلبيات في أفعاله مقابل صعوبة رؤية ما تحقق من إيجابيات في عهده. وحسب ليشيتسكي فإن الفوضى في الرؤية، والتناقضات البينة بين القول والتصرف، هما سمتان رئيستان لعهد البابا فرنسيس. ويسوق المؤلف أمثلة على ما يرى من مثالب، فيكتب أن البابا يحث على عدم خلط الدين بالسياسة، لكنه يفعل عكس ما يقول، ومن ذلك وصف الرئيس الأمريكي ترامب بأنه ليس مسيحياً، لأنه يريد بناء جدار بين الولايات المتحدة والمكسيك، فيعد المؤلف ذلك خلطاً للسياسة بالدين. ويضرب مثلاً آخر يدل على تناقضات البابا فرنسيس، عندما صرح: «إننا في أوروبا أمام غزو عربي»، لكنه في مناسبات أخرى يدعو أوروبا لفتح أبوابها أمام المسلمين الوافدين من الشرق الأوسط. ومن العناوين المهمة في هذا الفصل: «الرحمة والإسلام»، حيث يشكك المؤلف في فضيلة الرحمة، التي يعلي القرآن الكريم من شأنها، لا بل يحاول تخطئة حبر الفاتيكاني الأعظم الذي يرفض أن تسبغ على الإسلام هوية العنف. ونراه يجادل في كلام البابا الذي يقول: «ثمة مجموعات متطرفة في كل دين، فالتطرف ليس حكراً على دين واحد، ونحن المسيحيين، لسنا استثناء، أليس كذلك؟» (ص 23). ويحاول تفنيد أطروحة البابا مؤكداً بأن التعاليم المسيحية لا تحمل أي وجه من وجوه العنف. وبالمقابل نجده يظهر أفكاراً تتناغم مع التيارات التي لا ترى في الإسلام إلا العنف والغلو، ومثاله المحب دائماً المنظمات الإرهابية كالقاعدة وداعش، وتأتي حججه لتوافق مزاعم المتطرفين البولنديين الذين ما فتئوا يصرون على أن الإسلام يمثل بيئة مناسبة للعنف. وحسب مزاعم ليشيتسكي، فسور القرآن لا تخلو من الآيات التي يمكن تأويلها لتناسب المتطرفين وإرهابهم. ويبدو أن المؤلف حريص كل الحرص على عدم فهم تاريخ الإسلام والمسيحية في سياق التسامح، فنراه عندما يسأل عن عنف الصليبيين ومجازرهم المهولة يجيب أن

ينقسم الكتاب إلى عدة فصول غير مرقمة، لكنها معنونة على نحو يُلخص مباحثها بشكل يوافق محتواها العام. وكل فصل يتضمن نصوصاً مختلفة، على هيئة مقالات قصيرة لا تخلو من نبرة ساخرة، ومحكمات هادئة في نبرتها رغم مضامينها الصادمة أحياناً. والفصول تلك مرتبة كما يلي: أسئلة صعبة حول الكنيسة، العالم الرائع الجديد، أزمة الغرب الإسلامية، الثورة المضادة، حول الديمقراطية البولندية، قوة الذاكرة. ويخصص الفصل الأخير لعدة حوارات أجرتها صحف بولندية مع المؤلف، أو قام هو بطرح أسئلتها على شخصيات مرموقة منهم البابا بندكت السادس عشر، عندما كان كاردينالاً باسم جوزيف راتزنغر. إضافة إلى ذلك نجد هنا أسماء مهمة من علماء اللاهوتيين الكاثوليك، مثل الكاردينال الألماني ليو شيفتليك، وأستاذ تاريخ المسيحية وتاريخ الكنيسة روبرتو دي ماتى.

يطرح المؤلف جملة من أفكار مثيرة للجدل، بعضها مخالف للسائد في مجتمعه، وبيئته الفكرية. فنراه يريد أن يظهر أمام القارئ بأنه يسعى في البحث عن الحقيقة الصادمة - الحقيقة هنا قد لا تعجب الأغلبية بالضرورة. ويثير بجرأة أسئلة مبنية على حقائق بينة، محاولاً الإجابة عليها غير آبه لقضايا حساسة تخص أوساطاً فكرية ودينية مختلفة، منها ما تعبر عنها هيئات الكنيسة المفتوحة على الحوار مع المسلمين. فتبدو أسئلته صادمة وفيها كثير من التخويف والتحذير لقرائه من الأخطار المحدقة بأوروبا بشكل عام، وبلادها بشكل خاص. والخطران الرئيسان المحذوران بالقارة العجوز يمكن إدراكهما من عنوان الكتاب، وتلخصان بكلمة «عدمية» التي يسم بها المؤلف أوروبا المسيحية، وتغدو العدمية عنده رديفاً للعلمانية؛ وكلمة «إسلام» التي تعني عند ليشيتسكي أسس الصراع الحضاري بين أوروبا المسيحية والمسلمين.

يُخصّص الفصل الأول للكنيسة الكاثوليكية، وأمورها الداخلية، ومواقفها من المسائل المهمة، والتحديات التي تواجهها في العالم المتغير باضطراب. وينتقد المؤلف سياسة الفاتيكاني من خلال مواقف رأسها، فنراه يحلل



الحقائق البسيطة جدا وفهم مآلاتها، وهذا يخص أولا نقد الحكومة الألمانية لاستقبالها للاجئين وتقديم الحماية لهم. وفي معرض تحليله لأسباب التطرف والنزوع إلى العنف عند المسلمين يطرح، بشكل فج - وإن بدا منطقيًا في بعض جوانبه - طرحا يبين فيه أن المسلمين تربوا في دول غير ديمقراطية، وتحت وصاية تقاليد دينية لا مكان فيها لكرامة الإنسان، وحرية المواطن، واحترام حرية النقاش العام، فلا اعتبار لهذه القيم الاجتماعية. بل أكثر من ذلك، يرى أنه غالبًا ما يُحتقر من لا يؤمن بالإسلام، ويسمح بالاعتداء عليه عندما يتعلق الأمر بقضايا الرأي.

من القضايا التي يتناولها المؤلف في الفصل الذي يحمل عنوان «قوة الذاكرة» مسائل تاريخية تؤكد عظمة بولندا، وتذكر بأن الجيش البولندي هو من حمى المسيحية من أن تندحر أمام جحافل المسلمين العثمانيين عند فيينا، وهي المعركة التي غيرت مجرى التاريخ الأوروبي. ويفتخر بها البولنديون، فلولا انتصار جيشهم على الأتراك لما بقيت أوروبا مسيحية، بل وقعت بيد المسلمين كاملة. ويعتقد ليشيتسكي أن ذلك النصر التاريخي كان تنفيذاً لمشيئة الرب. ويعود إلى التاريخ الحديث ليستذكر أحداث الحرب العالمية الثانية، والعلاقة الشائكة بين البولنديين والألمان واليهود، وخاصة في قضية الهولوكست. ويقف في وجه الاتهامات التي توجه للبولنديين بأنهم معادون للمسيحية، وأنهم قتلوا يهوداً أكثر مما قتلوا من الألمان، ومن ذلك مزاعم يان توماش غروس حول مشاركة البولنديين الألمان في قتل اليهود.

في الكتاب كثير من الأفكار يجد القارئ فيها الغث والسمين. لا شك أن حرص المؤلف كبير على مستقبل بلاده ودينه، وهذا من حقه، لكن مخاوفه المبالغ فيها تجعله متناقضاً في أطاريحه، وتبعده عن مدارك التسامح ومدارج الأخوة الإنسانية. وقد يكون محقاً برفضه الظواهر السلبية من انحلال، وفساد أخلاقي، للثقافة الليبرالية العلمانية التي يسميها العدمية (مع أنهما في الحقيقة مصطلحان مختلفان)، لكنه موافقه من الخطر الإسلامي المزعوم لا يمكن أن تكون صائبة. وينبغي القول إن الإسلام ليس مسؤولاً عن العدمية الأوروبية التي يتحدث عنها؛ أما الكنيسة ممثلة بحبرها الأعظم فلا يمكن إلا أن تكون مع الحوار والتسامح لخير البشرية جمعاء.

-----  
عنوان الكتاب: ما وراء الصحافة

السياسية

المؤلف: بافل ليشيتسكي

الناشر: Wydawnictwo M

مكان النشر: كراكوف، بولندا

سنة النشر: ٢٠١٧

لغة الكتاب: البولندية

عدد الصفحات: ٢٧٢ صفحة

\* أكاديمي فلسطيني مقيم في بولندا



لكنه لا يمكن أن يمثل السواد الأعظم من أتباع الإسلام الذين يغفل عن ذكرهم المؤلف. لذلك يرى أن الوجود الإسلامي خطر داهم مستشهدا بتجمعات المسلمين الكبيرة في فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، التي برأيه تطمح إلى تطبيق شريعتها الخاصة خارج القانون الأوروبي ما يجعلها تربة مواتية للتطرف. وحسبما يرى، فإن فتح الباب على مصراعيه لهؤلاء يعني الاستسلام، ويعطي انطبعا عن أزوف ساعة انتحار أوروبا. ويعتقد المؤلف أن المسيحية تحتضر، وهي مريضة ومرضاها لا شفاء منه، إذ أنها مصابة بتفكك الهوية. وكل ذلك بسبب نمو التأثير الإسلامي الآخذ بالازدياد بازدياد عدد المهاجرين الذين لا ينضون تحت لواء المسيحية بل يكسبون أتباعاً جديداً إلى صفوفهم. ولا يغفل المؤلف عن تأكيد العامل الديمغرافي مرات عديدة، فهو الحاسم في عملية فناء المسيحية، فأوروبا تفرغ من سكانها، ويتدفق إليها المهاجرون، ما يجعل اندثار الثقافة الأوروبية أمر لا مفر منه، والسبب الرئيس في ذلك أن الغرب فقد الثقة بنفسه، وبالقيم التي يمثلها. لذلك، هو غير قادر على الدفاع عن نفسه. ويؤكد أن أوروبا المسيحية تعيش أزمة روحية ضخمة والمسيحيون عزلاً أمام موجتين تهددانه: الموجة الآتية من العدمية، وموجة الإسلام المتصاعدة، التي يشكلها مجموعة من الناس يأتون إلى أوروبا لرفض دينهم وثقافتهم وأسلوب حياتهم.

ويستغل المؤلف قضية الإرهاب، فيربط ازدياد وتيرة العمليات الإرهابية بازدياد عدد الوافدين من الشرق الأوسط إلى أوروبا، ويضرب بأن غالبية البولنديين تعرف هذه الحقيقة، بينما يذم الألمان الذين لا يرون ذلك، ولا يستشعرون الخطر الداهم القادم مع المهاجرين. لكنه ينسى أن هذا الاعتقاد الذي يعيش في أدمغة البولنديين مرده وسائل الإعلام البولندية التي دأبت في السنوات الماضية على تغذية عقول متلقيها بالافتراءات والأخبار المختلقة عن الخطر المزعوم الذي يمثله المهاجرون. بينما كان الإعلام الألماني أكثر حذراً وموضوعية واتزاناً. ومن سلبيات طرح المؤلف أنه أحياناً يطلق أحكاماً تعسفية عامة، فيتهم الألمان عامة بأنهم فقدوا القدرة على ربط

بمعارضي بوتين المضطهدين، يهتم هؤلاء «التقدميون» بقضايا المثليين. ويؤكد أن بوتين أراد حماية الأطفال الروس، ووضع عقوبة مادية على أي أجنبي يثبت أنه يحاول فرض رؤيته على القاصرين لا تتوافق مع التقاليد العائلية وقيم المجتمع الروسي. وتصل سخرية الكاتب إلى قمتها عندما يصف العالم الجديد بالعالم الرائج، وهو عنوان الفصل الثاني، فيقول متهكماً: «حقاً، إنه عالم رائع يولد أمام أعيننا» (ص ٨٥). ويمكن النظر هنا إلى أطاريح ليشيتسكي على أنها آراء موفقة، إذ أنها تدم القوانين التي تتناقض مع مجموعة القيم والأخلاق السامية. وما هو يصف اليوم الذي قررت فيه المحكمة العليا في أمريكا أن تساوي العلاقات المثلية بالزواج الطبيعي، يصفه باليوم المنحوس ليس في تاريخ أمريكا فقط، بل وفي تاريخ العالم. ويرى في ذلك رمزا لانتصار «الجنون الأيديولوجي» على العقل السليم.

ومن المباحث المهمة في الكتاب فصل: «أزمة الغرب الإسلامية»، وفيه يبين مشكلة الخوف من الإسلام، ويأتي على رأسها تزايد أعداد الوافدين المسلمين إلى أوروبا. فهم يسببون عقدة ديمغرافية في ظل تناقص معدل الولادات لسكان القارة العجوز. وتأتي مشكلة أخرى تتمثل في نمط الحياة الذي يتحفز المسلمون لفرضه على الأوروبيين الذين لا يمكنهم تقبله، بسبب الاختلاف الثقافي الكبير. فهم يرون أن ثقافتهم المنفتحة وحررياتهم العريضة في تعارض مع فكر الإسلام، فهو بالنسبة إليهم ليس ديناً فقط، وإنما أيديولوجية ترسم مفهوماً خاصاً للحياة. واذ يقر المؤلف أن لا يمكن وضع المسلمين جميعاً في سلة الإرهاب، يرى أن الإرهابيين يعتمدون على النص القرآني، المختلف عن الإنجيل في نظرتهم إلى الإنسان، وينهلون من التقاليد الإسلامية التي تحابي العنف. وهنا يدعي المؤلف أن الإسلام من بداياته اعتمد على الغزو والحروب، ومنها فتح مكة، مشيراً إلى ما تزخر به آيات القرآن الكريم من حديث عن العنف والغزوات. ويتحدث المؤلف عن أن تقويم الإسلام تقويماً سليماً يتطلب الخروج من دائرة الفرضية الصحيحة سياسياً، التي تقول إن كل الأديان ملوثة أيديها بالدماء، ولكنه لا يشرح ذلك بشكل واضح، ما يجعل كلامه عن الفرضية السياسية الصحيحة التي يقصدها غامضاً. ويطلق ليشيتسكي موضوع بعض المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية، محاولاً إظهار أن عقوبة الموت تهددهم، رغم أن الإسلام بشكل عام يعد هذا الفعل عملاً فردياً. ويدخل في قضايا التكفير مستخدماً هذا المصطلح بصيغته العربية، ومن خلاله يخرج إلى نتيجة غريبة زاعماً أن الإسلام دين رعب لا يرحم من يتركه. وكغيره من المتخوفين من انتشار الإسلام في أوروبا يقف ليشيتسكي موقفاً معادياً من اللاجئيين ويصفهم بالمهاجرين الذين يبحثون عن عيش أفضل، لذلك يجب عدم استقبالهم رغم دعوات البابا لإيوائهم في كل بيت مسيحي. ومشكلة المؤلف تبرز في زعمه أن المهاجرين المسلمين لا يتقبلون الثقافة الأوروبية بل يزدرونها. فمن جهة، يرون الغرب أرضاً موعودة وجنة مرفهة وثروات محتملة، ومن جهة أخرى ينظرون إلى أوروبا على أنها أرض الانحلال، والفساد، والمعاصي، وانتفاء الكرامة، وباختصار هي في نظرهم ديار كفر. من الملاحظ أن هذا الكلام يفيد من أطروحات غلاة المتطرفين من التيارات الإسلامية،



## خيبة الأمل في الإنترنت التصليل، والشائعات والدعاية رومان بادوارد

سعيد بوكرامي \*

سندرس في هذه المراجعة بعض التحديات التي تواجه الممارسات الاجتماعية لشبكة الإنترنت فيما يتعلق بالأشكال التي تتخذها الديمقراطية في سياق يتسم بعولمة الرأسمالية وتحول الدولة. وللقيام بذلك، سنقارب كتاباً مهماً عن علاقة شبكة الإنترنت بالمجتمع، باعتبارها اليوم فضاء مهيمنا على تبادل المعلومات ونشرها. وهذا ساعد الفاعلين السياسيين على تعبئة أفراد المجتمع المدني لصالح تحقيق أهداف سياسية أو أيديولوجية. من خلال معطيات الكتاب ونقاشه لمجموعة من القضايا سنتطرق إلى أهمية الإنترنت في تحقيق هذه الأغراض السياسية التي لا تعتمد فقط على التكوين الاجتماعي التقني لمستخدمي الإنترنت، بل أيضاً على السياق الاجتماعي والتاريخي الذي تحدث فيه.

التي تراها ذات صلة بجمهورها (ما كان يسمى بـ «حراسة البوابات الإعلامية») أما الآن، فبات المستخدمون أحراراً لإنتاج وتوزيع محتوهم الخاص. في الواقع، لم تعد المعلومات التي يطلع عليها المهتمون تخضع للتصفية والتصنيف من قبل الصحفيين المحترفين، كما كان يحدث مع وسائل الإعلام التقليدية.

يشكل الفصل الثاني من الكتاب تأملاً حول ما أسماه رومان بادوارد بـ «القسوة في النقاش» في التعليقات على المقالات الصحفية أو في شبكات التواصل الاجتماعي محللاً أسباب وأثار النبوة العدوانية عموماً المستخدمة في الجدل السياسي، مما يقوض «جودة النقاش عبر الإنترنت» (٦٦). ومن خلال تبادل الآراء، تصبح القاعدة هي المواجهة التي غالباً ما تكون عنيفة، ويعود سببها إلى إمكانية إخفاء الهوية مما يفسح المجال لخطاب شديد الكراهية أو التمييز والعنصري. إن طابع الاستفزاز هو أيضاً واحد من الوسائل المستخدمة من قبل بعض مستخدمي الإنترنت ليعلم صوتهم. على سبيل المثال، نشر تغريدة مثيرة للجدل عمداً. ولأن الخوف في المحادثات السياسية بشكل مفرط على شبكة الإنترنت، يدفع العديد من مستخدميها إلى تفضيل البقاء بعيداً عن هذه المناقشات، لصالح ما يسميه الكاتب «ظاهرة التقيّة» (ص ٨٠).

وينطلق الفصل الثالث في استجواب شامل حول دور المديرين الرئيسيين للشركات الرقمية والإنترنت. في الواقع أنشئت الشبكة بهدف «اللقاء بين الثقافة المضادة للفوضوية لصناع الإنترنت والرأسمالية الليبرالية» (ص ٩٣). ولا يزال حجم المعلومات على شبكة الإنترنت في نمو متزايد، ونتيجة لذلك، فإن مستخدمي الإنترنت والمعلنين يبحثون باستمرار عن طرق جديدة لجذب الانتباه واستقطاب الجمهور. ولتحقيق مستوى مشاهدة أفضل، يجب أن تتكيف

الكاتب على الأهمية المتزايدة للإنترنت في العديد من القضايا السياسية. وهذا هو السبب الرئيسي الذي دفعه إلى التركيز في ملاحظاته على «حرب المعلومات الجديدة»، أي حول رهانات النقاش عبر الإنترنت، الذي يتسم بانتشار «سجلات التدخل» (ص. ٢٣). ولذلك يقترح فهم وسائل الاتصال الجديدة على شبكة الإنترنت والتعرف على الطريقة التي يحاول بها المشاركون والجهات الفاعلة المختلفة (المواطنين والدول والشركات الخاصة) احتلال هذا الفضاء الاجتماعي الذي تم تحريره ظاهرياً.

يقدم الفصل الأول تقريراً عن مكانة الإنترنت في التغييرات الهامة التي حدثت في وسائل الإعلام التقليدية. وعن حدث حلول «ويب ٢.٠» الذي يتميز باستخدامات جديدة من خلال إنشاء وتبادل المحتوى من قبل المستخدمين وبالأساس عن طريق البلوغات والشبكات الاجتماعية مشيراً إلى الزيادة الهائلة والسريعة في عدد الأشخاص المتصلين بالإنترنت منذ عام ٢٠٠٠. يؤكد الكاتب وجود تهديد من طرف «الرقابة الأيديولوجية» (ص. ٢٦) التي تعمل، على سبيل المثال، من خلال الطريقة التي يتعامل بها القراء مع مرجعية البلوغات السياسية من خلال الروابط الموجودة على الصفحة والتي تحيل على روابط مواقع أخرى قريبة جداً من محتوى الصفحة.

إن انتشار مصادر الأخبار على شبكة الإنترنت لا يعني أن الأفراد من الناحية العملية يسعون إلى مواجهة وجهات نظر مختلفة أو معارضتها. فسواء كانوا في اتصال مباشر عبر الإنترنت، أو خارجه، فإنهم يفضلون التواصل مع أشخاص أكثر أو أقل تجانساً اجتماعياً. يدقق الكاتب أن هذه الظاهرة تتعزز بواسطة التسلسل الهرمي للمعلومات التي تديرها محركات البحث. قبل الانتشار الواسع النطاق للإنترنت، لعبت وسائل الإعلام التقليدية دوراً حاسماً في اختيار المعلومات

يتساءل الكاتب رومان بادوارد في بداية كتابه: «خيبة الأمل في الإنترنت التصليل، والشائعات والدعاية» إذا ما أصبحت الإنترنت عدواً للديموقراطية. ليس فقط بما تتضمنه من إشاعات وأخبار ملفقة وتحرش ودعاية، ومراقبة شاملة، بل من خلال المناقشات العامة عبر الإنترنت، التي تحولت فعلياً إلى ساحة حرب حقيقية. رغم أنها قبل عشر سنوات، كانت محط إشادة من الكثيرين لنموذجها التواصلي عبر الإنترنت كأداة للتجديد الديمقراطي. كيف نفسر هذا الارتداد؟ يتساءل الكاتب مقترحاً خلاصات واضحة وتعليمية حول المخاطر السياسية للإنترنت.

يبرز الكاتب أن السلطة تقيم في صميم التكنولوجيا. لأن الإنترنت يحمل في آلياته نموذجاً جماعياً يحيد الانقسامات خاصة في هذا العالم المتضارب المصالح والأفكار والعقائد. ومن هنا تحولت إلى محفز على الصراعات ومؤججة للنزاعات، وبذلك ألغى التحدي الذي روج له صانعو الشبكات التواصلية من أن قاعدة الإنترنت وغاياته هي التواصل والانفتاح وتبديد الاختلافات. وكانت النتيجة سهر القائمين عليها على تحقيق الأرباح بدل دعم التبادل الفكري والإنساني، بل سعوا إلى احتلال الفضاء المعلوماتي كله وإلغاء تنظيم سوق المعلومات على نطاق واسع مما خلق تهديداً خطيراً على ممارسة حرية التعبير وتوفير العدالة الرقمية. ولأن الرقمية هي قضية الجميع، بل هي أيضاً مستقبل الديمقراطية القادمة، فإن الكاتب رومان بادوارد يستعير مفهوم «خيبة الأمل» الشهير من المفكر ماكس ويبر، ليعلم الضوء على التحول من عالم إلى عالم آخر. وليناقش أيضاً وعود التحرر والتحول من خلال الوسائل الرقمية، التي لم يتبق منها سوى «ساحة معركة حقيقية» (ص ١٢)، بين الشائعات والمعلومات الكاذبة والمضايقات وحرب الصورة. وللتأكيد على هذه الفكرة، يؤكد



والغموض والإيديولوجيات الجديدة في جميع أنحاء العالم . ومع ذلك، فإن استخدام الكاتب لبعض المصطلحات مثل «الرقابة على الجمهور» أو «الدعاية المحلية» تدل على أن هناك إشكالية لا تتناسب بشكل ملائم مع ما توصلت إليه العديد من الدراسات التجريبية الواردة في الكتاب. هذه المصطلحات القوية، التي تستخدم للتأكيد على أهمية الموضوع، قد تبدو مفرطة في الانزعاج وغير سليمة منهجياً، على الرغم من أن الكاتب رومان بادوارد تمكن من جعل قضايا كتابه مثيرة للاهتمام ونتائجها سهلة المثال. بحيث تمكن وهذا بحسب له سحب العديد من الخيوط المتشابكة بخصوص الاضطرابات الحالية الناجمة عن استعمالات الإنترنت، وبذلك نجح في دق ناقوس الخطر لإعلامنا تشعب قضاياها عموماً وتنبهنا إلى أهمية القضايا السياسية والديمقراطية للإنترنت.

يفترض الخطاب حول دور الإنترنت أن تجديد الأنظمة السياسية يقوم على مفهوم المواطنة المفرطة النشاط، بيد أن هذا النوع من المقاربة يميل ضمناً إلى وجود مستخدم نموذجي، وبالتالي لا يأخذ في اعتباره ظروف الحياة الحقيقية التي تجعل عدداً معيناً من المستخدمين في وضعية الحرمان أو النقص في المعرفة الرقمية وهنا يمكن أن نتحدث عن انعدام المساواة المعرفية بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة، لهذا من الصعب أن تتمكن هذه الأخيرة من تحقيق قوى اجتماعية قادرة على التحول إلى حركة اجتماعية قادرة على تغيير التاريخ، لأن الأمر ليس مجرد مسألة اجتماعية واقتصادية. ولكن أيضاً مسألة معرفة رقمية وحتى وإن كانوا من المستخدمين المفرطين للإنترنت، فإن وعيهم السياسي الهش غير مؤهل لتغييرات جذرية. وأخيراً، إن التنمية الديمقراطية على شبكة الإنترنت وغيرها لا تعتمد فقط على التكوين الاجتماعي التقني لهذه الأخيرة، ولكن على الوعي السياسي النشط، الذي لا يحدد إمكانياتها وفقاً للخيارات التي وضعها مصمم الإنترنت، ولكن أيضاً اعتماداً على السياق الاجتماعي والتاريخي الذي تحدث فيه الممارسات الفعلية التي يمارسها المستخدمون للإنترنت.

الكتاب: خيبة الأمل في الإنترنت.

التضليل، والشائعات والدعاية

المؤلف: رومان بادوارد

الناشر: منشورات ليموج فيب. فرنسا.

٢٠١٧

اللغة: الفرنسية

عدد الصفحات: ١٨٠ صفحة.

\* كاتب مغربي



بين الدول و الفاعلين الرئيسيين في الاقتصاد الرقمي. ويذكر رومان بادوارد ببراعة ظهور شكل من أشكال القوة المضادة على مدى السنوات العشرين الماضية، أو ما يسمى «حركة الهاكرز» أو القرصنة الرقمية الذين يدافعون عن «قيم الشبكة الأولى» (ص ١٦١)، التي تخص البرامج المفتوحة . وعلى النقيض من الصورة السلبية التي تمنحها وسائل الإعلام للقرصنة، فإن الكاتب يؤكد على الدور الذي يقوم به المبلغون عن المخالفات والذين يشكلون، و بصفة عامة، جزءاً من العملية السياسية.

في الختام، يتساءل رومان بادوارد عن كيفية «إحياء المثال الديمقراطي للإنترنت» (١٧٣). وحسب الكاتب فهذا هو دور الجمعيات التي تدافع عن حقوق مستخدمي الإنترنت وحركة الهاكرز، وكذلك من طرف الدولة. وهو بذلك يعبر عن الرغبة في «عودة السلطة العمومية» (١٧٦) لمواجهة النفوذ المتزايد للشركات المتعددة الجنسيات في وادي السيليكون. وفيما يتعلق بـ «النقاش العام عبر الإنترنت»، يصر الكاتب على دور المدرسة، مقترحاً وضع برنامج لرفع مستوى الوعي بقضايا الشبكة. ستسمح هذه الأدوات التعليمية الجديدة للمواطنين في المستقبل من تعلم موقعة أنفسهم بذكاء في الخلافات على الشبكات الاجتماعية، وكذلك منحهم مفاتيح لـ «تجريب نقاش بناء».

يمكن اعتبار بحث رومان بادوارد كتاباً موثقاً توثيقاً جيداً. ويتميز كذلك بتوصله إلى العديد من الاستنتاجات المهمة المستمدة من الأبحاث الحديثة حول استخدامات الإنترنت. كما أن أطروحته عن «خيبة الأمل» سمحت له بتسليط الضوء على التناقض بين بعض المثل العليا للمؤسسين للإنترنت (خلق مساحة المساواة الديمقراطي العام والتنظيم الذاتي) وبين واقع استخداماته اليوم بالمحفوظة بالزيف

الشركات مع عمل الخوارزميات مثل «نظام ترتيب الصفحات» في غوغل، التي تعد المسؤولة عن تحديد أولويات المواقع في نتائج البحث. في حين أن معظم الخدمات التي تقدمها المنصات الرقمية تتميز بحرية البحث المجاني. هذه المجانية تحجب واقع «اقتصاد النقر» (ص ١٠٥) المبني أساساً على تسويق البيانات المنتجة بواسطة المستخدمين. على الرغم انجذابها وحيادها الظاهري، فإن الخوارزميات هي في الواقع انعكاس لمشروع سياسي حقيقي. والأخبار ليست استثناء بحيث يتم فرزها من خلال «الوسائط الإخبارية» مثل أخبارياهو أو أخبار الغوغل، وغيرها، التي تتمثل مهمتها في مركزة الأخبار الرقمية لوسائل الإعلام الرئيسية. يحاول الكاتب أن يبين لنا أننا أقل اطلاعاً مما نعتقد، على الرغم من التعدد الواضح للمعلومات التي يمكن الوصول إليها: «إن المعركة المحمومة حول البحث عن النقرة، والاهتمام بشكل منهجي تكون دائماً لصالح من يوحد المحتوى» (ص ١٠١). نلاحظ في مواقع «الأخبار»، أن هناك عدداً كبيراً جداً من المقالات الصحفية التي تتناول نفس المواضيع، على حساب المقالات المميزة أو المخصصة لموضوعات نادرة.

في الفصل الرابع، يواصل الكاتب تأمله من خلال تحليل الأشكال الجديدة للتعبئة عبر الإنترنت. مثل العرائض (من خلال مواقع مثل Change.org) أو بواسطة الهاشتاغ (المنشر بقوة في مواضيع الشبكات الاجتماعية) وهكذا نلاحظ تغييراً كلياً في طرق التعبئة لاستجواب الرأي العام حول الانشغالات السياسية. ومع ذلك، يشدد الكاتب أن نجاح بعض التعبئات الرقمية يمكن أن يغذي الاعتقاد بأن «التكنولوجيا يمكن أن تجد الحل لكل شيء» (ص ١٢٧) وبالتالي التفكير في أن اختراع الأدوات الرقمية الجديدة سيكون علاجاً لكثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. لأن هذه الصعوبات هي قبل كل شيء ذات طابع سياسي، ولهذا تتطلب تدخل السلطات العمومية. ويمكن اعتبار «البيانات الكبيرة» المستخدمة وتحسين قدرات معالجة الأدوات الإحصائية مثلاً آخر على استسهال الحلول وجاهزيتها مما يلغي العمل اللازم لبناء موضوع البحث وفتاته. وهناك بعض الخطابات التي تذهب إلى حد التنبؤ بـ «نهاية النظرية» في العلوم الاجتماعية، والاستعاضة عنها بنماذج حسابية خوارزمية.

يؤكد الكاتب في الفصل الأخير المعنون «استعادة امتلاك الإنترنت» على ضرورة مقاومة ونضال مختلف الجهات الفاعلة من المجتمع المدني ضد الشركات الكبرى المسؤولة عن «خصخصة الإنترنت» (ص ١٤٨) في الواقع، إن المناقشات حول إدارة الإنترنت هي موضوع علاقات القوة على عدة مستويات بين السلطات العمومية والمواطنين، كما يوضح ذلك مثال «إدوارد سنودن» الذي كشف عن مراقبة الحكومة الأمريكية لمواطنيها مراقبة شاملة، ولكن أيضاً على المستوى الدولي



## من أين يأتي المال يا كارل: طبيعة الثروة وأسباب الفقر لإيلينا كوتوفا

أحمد الربحي \*

تحاول مؤلفة هذا الكتاب، الاقتصادية الروسية البارزة والشخصية التي احتلت بين أعوام 1994/2010 أعلى منصب في القطاع المصرفي في روسيا والولايات المتحدة وأوروبا ولها ما يربو على خمسين ورقة علمية في التمويل الدولي، إيلينا كوتوفا، تحاول في عملها الجديد الإجابة عن السؤال الذي طالما أرق رؤوس الروس منذ بدايات القرن العشرين (أي عند انطلاق الثورة الاشتراكية) وحتى يومنا الراهن والمتعلق بخصوصية المسار الروسي في التنمية الاقتصادية. حيث تقارن الباحثة المعروفة بتذمرها من مسألة الخصوصية في التطور الاقتصادي الروسي، تقارن اقتصاد بلادها باقتصاديات حققت إنجازات مذهلة في التاريخ الاقتصادي العالمي كإقتصاد الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وسواها من الدول المتقدمة، وهي البلدان التي وقفت ذات يوم، شأنها شأن روسيا، أمام مفترق طرق وواجهت صعوبات اقتصادية جذرية وعميقة، ولكنها خرجت من عثرتها منتصرة وأحيت اقتصادها بطريقة تشبه المعجزة. فلماذا لم يحدث مثل ذلك في روسيا؟ - تتساءل الباحثة - ولماذا لم تكرر روسيا نجاح جارتها الصين بأقل تقدير؟ لماذا ترتفع أسعار الفائدة في روسيا بشكل مبالغ فيه؟ وكيف تنشوه النظريات الاقتصادية الكبرى ما إن تقع في أيدي الروس؟ ما الذي يمنعهم من الاستحكام بالعقلية التي تصلهم بالركب الغربي مثلما هم يرغبون بذلك دائما؟ من أين تأتي الأموال أساسا، ولماذا يعيش الناس في بعض البلدان برفاه وبحبوحه وفي بلدان أخرى، ومنها روسيا، في فاقة؟ من طينة هذه الأسئلة تجبل إيلينا كوتوفا في كتابها الجديد مُركبا متكاملا عما تنعته بالفشل الاقتصادي لروسيا الحديثة.

لأهم التحولات الاقتصادية في القرن العشرين وتقدم شرحا تفصيليا عن أسباب الفشل الروسي في الإصلاح الاقتصادي، معززة آراءها بوصفة علمية تضمن لروسيا الخروج من أزمتها وترسم لها خطة عمل لبناء صرح اقتصادي فعّال. تؤكد المؤلفة على أن الدراما الاقتصادية الروسية مرتبطة أساسا بالخلل الفكري الذي يتوارثه أصحاب الرأي والمتمثل باعتبار المعضلة الاقتصادية الروسية شيء فريد من نوعه ولا يتكرر في مكان آخر، وبالتالي فالحل لا بد وأن يكون روسيا خالصا ولا يشبه الحلول المتبعة في بلدان المعمورة قاطبة. وترى الكاتبة أن التعنت في رفض تجربة البلدان الناجحة اقتصاديا في أوروبا وأمريكا مرده نوع من الغطرسة التي لا تندرج ضمن قوانين وموازين الاقتصاديات الواقعية والواعدة. تقول في هذا السياق: «لم نجن (نحن الروس) من بحثنا عن طريقتنا الخاصة لتخطي المشاكل سوى الفشل، فضلا عن أننا أسسنا لتفكير خاطئ وكارثي وتسببنا في تشويش رؤوس المتعلمين والمفكرين وفي تعطيل أدمغة الشباب غير المعنيين بالسياسة. لم يتشرب العقل الروسي شيئا من الأحداث الاقتصادية والثقافية في البلدان التي أراد للحاق بركبها، فلم يعتبر من الكساد الكبير الذي دخلت أمريكا

عن إطارها النظري العام ولا تفارق مجالس الكلام الذي تشتعل فيه الانتقادات والتهجمات بين فريقين: الوطنيين والليبراليين، فيلحن الوطنيون تجار السوق، وينهال الليبراليون على العقول المتزمتة، وهكذا يلتهون ويتقاذفون بنتف متفرقة من الحقيقة، وإن اتفقوا على شيء واحد، فعلى الحالة الاقتصادية المتردية في البلاد. تجرب الكاتبة الإجابة عن أسئلتها من خلال أهم النظريات الاقتصادية في القرن العشرين. وبرغم معارضتها للنظام الشيوعي إلا أنها تعود مرارا إلى كارل ماركس وتستأنس بنظرياته التي ضمنها كتابه الأشهر «رأس المال». ففي الفصل المعنون بـ «مفتاح المؤامرة العالمية» تخلص الباحثة إلى أن كارل ماركس لم يبرر ديكتاتورية البروليتاريا كما اعتقد الروس والسوفيت من قبل، وأن لينين، قائد الثورة الاشتراكية عام 1917 لم ينشغل بتحقيق معجزة اقتصادية في روسيا وكان همه منصبا على إنجاح الثورة فقط. ويرأي المؤلفة فإن الروس قد أخذوا من ماركس عكس ما كان يريد في كتاب «رأس المال» الذي أكد فيه أن الرأسمالية تدعو وتشجع على نمو وازدهار المجتمع والدولة وتوفير الأدوات اللازمة لتحقيق هذه الغايات. وهكذا، وعلى ضوء قوانين ونظريات كارل ماركس تبني الكاتبة تحليلاتها

وإذ تبحث المؤلفة عن أسباب أزمة الاقتصاد الروسي من خلال تحليلها للعقلية الروسية، مقارنة بينها وبين عقليات الأمم الأخرى، تحضرنا مقولة للشاعر الروسي الأمير بيتر فيازيمسكي أطلقها في أوائل القرن التاسع عشر وذكر فيها أن اللغة الإنجليزية تمتلك مدلولات جمة تشير إلى قيمة الوقت وتؤكد على أهميته، وأن قيمته تتساوى مع المال، إن لم يكن هو المال نفسه. أما في اللغة الروسية فالمدلولات الفكرية تقودنا إلى أن الحياة لا تساوي قرشا. وتنطوي مقولة الأمير الشاعر على نظامين مختلفين من القيم، أولهما أن الإنجليز يثمنون الدقيقة، لذا تجد ثروتهم في ازدياد دائم، بينما لا يهتم الروس لا بالوقت ولا بالمال فتصبح حياتهم، بعدئذ، بلا ثمن. ومع ذلك، فإن الروس، وعلى مدى خمسين عاما من البداية المنهجية لتدمير اقتصاد الاتحاد السوفيتي وتحويل روسيا إلى الرأسمالية، أضحو على يقين بأهمية المال في الحياة، مع فارق أنهم لا يملكون دراية بكيفية كسبه وليس لديهم فهما واضحا لإنتاجه. ثمة فكرة تلازم غالبية الروس عن تحوّل بلدهم إلى دولة متقدمة، وبأنهم يستحقون الرخاء والحياة الكريمة مثل جيرانهم الغربيين؛ ولكنها فكرة لا تخرج



سقط على الأشجار». إن عدم استعداد روسيا لتكون شبيهة بالآخرين وانتفاء رغبتها في التغيير بالإضافة إلى توهمها القدرة على الإتيان بتجارب اجتماعية جريئة، هي من بعض أسباب المواقف السلبية التي يتبناها الغرب ضد روسيا. فبعد أن كانت في التسعينيات بلدا محبوبا من الغرب، حيث ضمها إلى مجموعة الثماني وناقش انضمامها إلى حلف الناتو، خاب ظن الغرب بها وأنقطع أملهم فيها. تكتب الباحثة في هذا السياق: «لقد ذوت حماسة الغرب تجاه روسيا (...) وسوف لن يقيض لروسيا أن تولد من جديد بين ليلة وضحاها. ستتعاوى ببطء، ولن تساعد أية أصفاد أخرى من قبل الغرب في شيء بل ستعرقل إحلال أفكار جديدة محل البحث الذي فطر عليه الروس عن الأعداء الخارجيين. إن الغرب مخطئ حين يشدد العقوبات على روسيا، وإن تم ذلك عن شيء فإنما ينم عن جهل للواقع الروسي وعدم إدراك للطموحات التي نشأت في الداخل الروسي طيلة عقود من الزمن. لقد استبدلت بلدان المحيط الأطلسي، وبسهولة كبيرة، توقعاتها العالية تجاه روسيا بخيبة أمل وأنهت سريعا قصة تربية المراهق الصعب» (ص ٣٣٥).

إن الفكرة الرئيسية التي تشيعها الكاتبة بين دفتي كتابها تكمن في عدم كفاءة وفشل الأفكار الشيوعية، وبالأخص في فصل الكتاب المعنون بـ «هل كان ثمة نظام عظيم؟» لذلك، وإلى جانب الشأن الروسي، شمل الكتاب أحوال الصين التي تتنبأ المؤلف حدث انهيار في اقتصادها خلال العقود القادمة والسبب أن الصين، وإن كانت قد غمرت العالم بأسره بمنتجاتها من السلع الرخيصة، إلا أن اقتصادها لا يعتمد على ابتكار التقنيات الحديثة، وهذا بحسب الكاتبة نقیصة عضوية ومدمرة.

لاقي الكتاب الكثير من ردود الفعل وأثار جدلا في الوسط الصحفي وجوبهت أفكاره الراديكالية برفض مبرم من قبل شخصيات المجتمع المدني الروسي، بيد أن الكل أجمع على المهوبة الكتابية لهذه السيدة القادمة من القطاع المصري وعلى جمالية أسلوبها في التأليف.

الكتاب: من أين يأتي المال يا كارل...  
طبيعة الثروة وأسباب الفقر.  
المؤلف: إيلينا كوتوفا .  
الناشر: ألبينا بوبليشير/ موسكو ٢٠١٨.  
اللغة: الروسية.  
عدد الصفحات: ٣٤٠ صفحة.

\*كاتب عماني

زال ماثلا فيها، وخير دليل على ذلك الفروقات في فرص الناس للعيش الكريم بين العاصمة وبقية المحافظات. تقول الكاتبة: «بحسب الاقتصاد التقليدي فإن الهواتف المحمولة والكوكا كولا والسيارات الأجنبية متوفرة في آلاف المدن والبلدات. ولكن ليس أكثر من ذلك، فلا فرصة للمرء هناك لتغيير ظروف معيشته للأفضل. لا وجود ثمة لمتخصصين وخبراء لمضاعفة رأس المال واستحداث القطاعات المجتمعية الحديثة، المجتمع مغلق والناس يعتمدون على أنفسهم فقط (...) كل شيء مختلف بين العاصمة والقرى: التكنولوجيا، قيمة الروبل، الوصول إلى المعلومات ومفاهيم العدالة والقانون» (ص ١١٠). تقدم إيلينا كوتوفا صورا حية للوضع الاقتصادي المتناقض في روسيا إبان عهد مختلف من القرن العشرين وذلك مع تحديد أهم العضلات والخرافات الاجتماعية المسيطرة في كل فترة، وعن ذلك تقول: «كان خروتشوف وبريجنيف على قناعة تامة بأن المصانع وتسويق منتجاتها لا يمكن أن يخرجنا عن يد الدولة. وقد منحت الدولة مواطنيها رواتب شهرية تتراوح بين تسعين إلى مائة وخمسين روبلا، أما العمل وجودته فعلى الجميع أن يحكم به الضمير. ويا لها من ثقة غريبة! إن الإنسان كسول بطبعه والعمل بضمير بالنسبة إليه أمر غير مفهوم. إنه لا يعمل إلا لسببين: من أجل المال أو خوفا من الموت في الثكنات. بعدها ألغيت الثكنات ولكن الرواتب لم تزد ومعها لم تزد طاقة العمل عند الشعب (...) وجاء يلتسين، ومعها حلت مفاهيم السوق الجديدة وحررت الأسعار وانطلقت عجلة الخصخصة من غير قوانين تضبطها باليات السوق. وظل الناس على وهمهم بأن المال يثمر في الأشجار، ثم صاروا بعدها يغمغمون بأن الثعالب

في أتونه وخرجت منه بأقوى اقتصاديات العالم. فبالنسبة لنا هذا شيء عديم الأهمية. وماذا عن عودة الحياة إلى ألمانيا بعد الحرب؟ هل سقط المال على ألمانيا من السماء، أم أن أمريكا دفعت لها كل ما تريده؟ ربما ظن البعض ذلك ولكن الحقيقة هي أن المساعدات الأمريكية لألمانيا بلغت ما نسبته واحد ونصف بالمائة من مبيعات النفط الروسي في العام الواحد» (ص ١١).

من بين السمات التاريخية لإدارة الاقتصاد في روسيا تتناول الكاتبة سمة اللحاق المستمر بالدول المتطورة، وهي مسألة عرفتتها روسيا في وقت مبكر وسابق لما شهدته البلدان النامية ما بعد الكولونيالية. فإن كان مفهوم «اللاحق بالركب» قد دخل العلوم الاجتماعية العالمية في منتصف القرن العشرين وذلك وقتما كان العالم منشغلا بمشكلة تخلف المستعمرات السابقة، فإن اللحاق بركب الدول المتقدمة بدأ في روسيا قبل ذلك بكثير، وتحديدًا مع الإمبراطور المتفتح بطرس الأكبر (بطرس الأول ١٦٧٢-١٧٢٥) المعروف بأنه «فتح نافذة» إلى أوروبا. وقد حاول الحكام من بعده اللحاق بركب بلدان الضفتين الشمالييتين للمحيط الأطلسي، ولكن من غير أن يسفر ذلك عما كانوا يرغبون فيه، هذا إن لم نقل أنه أسفر عن غير المرغوب فيه (...) لقد كان الانفتاح الروسي على تجربة البلدان الأكثر تقدما في المحيط الأطلسي انتقائيا وغير منظما: هذا نقرأه وهذا لا نقرأه، هنا نغير وهنا لا نغير» (ص ٧).

ملمح تاريخي آخر من الملامح التي وسمت المجتمع الروسي بميسمه وحالت دون ازدهاره اقتصاديا ما تسميه الباحثة بالاستعمار الداخلي. فبينما شق الاستعمار البريطاني والفرنسي المحيط إلى البلدان الآسيوية والإفريقية البعيدة، ارتد الاستعمار الروسي إلى الداخل، وهو أمر يمتد (بهذا المعنى أو ذاك) إلى رهن الوقت. تقول المؤلفة: «لم نتسبب بتشويه بلدان ما وراء البحار ولكننا شوهنا بلدنا. لقد نهبت نسبة قليلة من المجتمع موارد النسبة الكبرى. لم يربط بين النبلاء والأقنان أية أبوية (...) وكان ثمة شكل آخر من أشكال الاستعمار. كانت العاصمتان (موسكو وسانت بطرسبورغ) مع المدن العشرة الكبيرة تتغذى من موارد المحافظات التي ظلت فقيرة وحرمت بعضها من الكهرباء حتى منتصف الستينيات من القرن العشرين (...) يسمى هذا في الفيزياء (الاجتماعية!) بالأواني غير المستطرفة، حيث تجتمع المتاجر المضيئة بوفرة في مكان واحد، وفي بقية الأماكن تمتد سلسلة من المجامع» (ص ١٠١). وعلى الرغم من كل الإجراءات الظاهرة لتحسين ظروف المعيشة في روسيا، تصر الباحثة على أن الاستعمار الداخلي ما



## (نحن - هم) .. هل يخضع العالم للنجسية؟ لمارتن أبيلو

سعيد الجبري \*

في غمرة تصاعد التيارات السياسية الشعبوية، وتهديدات الجماعات الإرهابية المتطرفة، في العالم ولاسيما أوروبا، يقارب الطبيب النفسي الهولندي مارتن أبيلو، هذه الإشكالية من منظور نفسي، في كتابه الجديد، مثيراً سؤالاً محورياً عما إذا كان العالم ذاهب للخضوع للنجسية، ليس كحالة فردية وإنما في نسقها الجماعي، ويصف الصراع النرجسي الذي تواجهه المجتمعات الإنسانية، من خلال نمطين متوازيين يتجادبان الاستقطاب، عبر ثنائية (نحن - هم) الضدية. ويبين كيف يهدد كل منهما المجتمع بالنرجسية والغضب النرجسي. فالساسة الشعبويون، كالإرهابيين، لهم تأثير استقطابي في المجتمع، ويمثلون ظاهرة نرجسية نموذجية، إذ لا يدعون أي مجال للآخر، ويؤججون مشاعر كراهيته، ويضعون مصالحهم الخاصة أولاً. إلا أن الكاتب - من واقع خبرته بالنرجسية كمعالج سلوكي - يقدم للمتلقي بشكل غير مباشر دعماً للرضا بالواقع أو القبول به، بتأكيد أفضلية أن يستوعب المرء (ويتحمل) أن لديه، كأى إنسان، دوافع نرجسية وأن هذا جزء من كينونته الإنسانية. فلا مجال، بالضرورة، للنظرة السيئة إلى النرجسية من حيث هي، على أي حال، ما يجعل محتوى الكتاب تلقائياً أخف وقعاً على النفس، ليتم تلقيه إيجابياً.

والضدية، فكلا الطرفين النرجسيين يشعان بالحرمان والضعف، حتى وهما يبديان مظاهر معاكسة، ويعبران عن مشاعر الانتقام ممن أفشلوهم. فالنرجسي ضعيف، بطبعه، وقد تتعدى نرجسيته التشدد أو التطرف في بعض الحالات إلى ممارسة الإرهاب، فضلاً عن ميوله التي تهدد الوسط الاجتماعي على نحو مضطرد.

ولعل ما يميز الكتاب أنه لا يقدم وجهة نظر مختلفة عن تكوين الإنسان والمجتمع، وفق هذه الثنائية الضدية، وإنما يقدمها بلا مواربة أيضاً، وبلا تردد، مبدياً مسوغات لا تغفل وجهة النظر العلمية الدقيقة لانتعاش الفردية والنرجسية، فيحلل بوضوح - في سياق عرضه ماهية النرجسية الاجتماعية - الأسباب الكامنة وراء ازدياد عدد ناخبي حزب PVV الهولندي ذي التوجهات اليمينية المتطرفة المعادية للأجانب، ولاسيما المسلمين، كنتيجة لاشتغاله على ثنائية (نحن - هم) الاستقطابية، واشتغال مخاوف السكان «المدللين» من تطلعات من يعدهم طارئاً عليه وعلى قيمه الاجتماعية. وهو ما اعتمد عليه سياسي شعبي مثل ترامب الذي عبر في حملته الانتخابية عن أنه (سيُلقن البرابرة والإرهابيين من داعش درساً، أولئك الذين يريدون تدمير كل ما هو عربي)، وهو ما يواجهه بنرجسية دينية تذهب إلى إدانة البشر والأديان والطوائف، فتنتهك - كما تنتهك النرجسيات المقابلة - تعاليم الأديان، فتننتج مشروعها النرجسي - داعش مثلاً بحسب كريستيان جاريت - فهي تسوغ القتل بدافع

لا يعلم أن الحرب في البر، قد انتهت منذ مدة طويلة. وعندما يأتي الناس إلى الجزيرة ليخبروه بالحقيقة، فهو لا يثق بهم ويطلق النار عليهم. لأن المستقر في رأسه أن الحرب ما زالت مستمرة ولم تنته بعد. شيء من هذا القبيل يحدث للنرجسيين، إذ لا يمكن، بالنسبة إليهم، الوثوق مطلقاً بالعالم الخارجي ومن حولهم، فمن يعيش في أجواء ثقافة الخوف أو الرعب من التعايش مع الآخر «الدخيل/ الغريب» يميل إلى النزوع نحو مشاعر معادية لا تتحمل وجود سواه، وهو ما يعده أبيلو بعداً من أبعاد شخصية النرجسي المنتمي إلى جماعة «المدللين» De Verwenden الذين يتوافر لهم كل شيء ويتمتعون به ويخشون أن تشاركهم فيه جماعة الدخلاء أو «الغريباء» De Buitenstaanders الذين يشعرون بالنبذ والإقصاء، ويعيشون خارج دائرة التواصل المجتمعي الحميم.

في هذه القطبية التي يتبادل طرفاها المواقع، كلاً من زاوية نظره، تحيل الـ(نحن) بموازاة الـ(هم) تارة على «المدللين»، مثلما تحيل الـ(هم) عليهم أيضاً، بموازاة «الغريباء» الذين تحيل عليهم الـ(نحن)، تارة أخرى، في متوالية تبادل الكراهية وعدم القبول بالآخر المختلف، إذ يشكل الشعور بالخيبة اتجاهها نحو تطرف الأفكار، وهو ما ينوّه به الكاتب كاحتمالية للتشدد ناتجة عن اطراد النرجسية المزدوج، ويعلل به جزئياً العديد من الصراعات الناشئة بين الجماعات، من جهة، وتصاعد الشعبية الحالية للشعبوية، والاستقطاب،

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول رئيسية، أصل الكاتب في أولها ماهية النرجسية ونزعاتها، باعتبارها شراً لا بد منه، ثم تمثالاتها الاجتماعية، وقدم في الثاني أمثلة نموذجية لقادة نرجسيين وبلدان محتقنة ومجموعات استقطابية متناقضة. أما في الثالث فركز على مسار الاعتدال بين نمطي النرجسية والاستقطاب، دليلاً إلى كيفية مقترحة للتعايش الاجتماعي عبر نهج وسطي سوي.

ويرى أبيلو أن أكبر مغالطة يمكن تصورها هي اعتبار الزهو أو الإعجاب بالذات - وهو ما يبدو لنا من الخارج - هو جوهر النرجسية، فلكل منا نصيب منها، وإذا كنت تفترض أن النرجسية تحدث لك فمن الطبيعي أن تتحمل أن يكون هناك نرجسيون. غير أن هذا لا ينبغي أن يكون مطلقاً تسويغاً للسلوك النرجسي، لكنه يساعد على اكتساب مزيد من التفهم والتعاطف مع النرجسي. ولقد يميل الكاتب أحياناً إلى تضخيم الأمر، أو الإثارة والاستفزاز، أو الخروج على المؤلف، وهو يفعل ذلك بوعي وقصدية، وقد يكون لديه سبب أعمق؛ ليجعلك تفكر بشكل أفضل، في كيفية تشكل الواقع وتعقيده، ولعل تلك القصدية تناسب جيداً تقنية المعالجات النفسية التي تحفز المرضى بالاستفزات الطفيفة، على تغيير أنفسهم.

وفي سياق بيانه ما للتربية غير الآمنة من أثر في تشكيل الشخصية النرجسية، يقدم أبيلو استعارة كبرى تشبه النرجسي، من كلا النمطين، بجندي مسلح يختبئ على جزيرة في أثناء الحرب. إنه يطلق النار على كل ما يأتي إلى الجزيرة، فهو



فبالرغم من أن استطلاعات الرأي توقعت تقدماً غير مسبوق لحزب اليمين الهولندي الشعبي المتطرف، الذي استثار زعيمه مشاعر الناخبين بتصريحات معادية للقرآن والمسلمين والأقلية المغربية، بخطاب يشابه خطاب ترامب، يؤكد أن (نحن) ضحية (هم)، الذين يجب طردهم، وأنه هو القائد العظيم الذي سينجز هذا الاستحقاق القومي، حتى بات الاعتقاد شبه مؤكد بأنه سيصبح رئيس وزراء هولندا الجديد. لكنه أصيب بخيبة كبرى إذ فوجئ بحملة الانتقادات والاحتجاجات غير المسبوقة التي تعرض لها شبيهه ترامب، وإعراض المجتمع الأمريكي عن تصريحاته الاستقطابية والتمييزية، وتدخل القضاة بقوة عندما اتخذ إجراءات غير قانونية. فالعبارات الجوفاء والبلاغة العدوانية لا تستميل الناس للانضمام إليه بشكل جيد، لتشكيل كتلة طيبة تواجه كبش الضياء الذي حدده الرئيس الجديد.

بل على العكس تماماً.

ولعل فيلدرز أدرك أيضاً أنه إذا كان المجتمع الأمريكي لم يتفاعل مع الاستقطاب في الوقت الراهن فإن هذا سيكون أكثر كثافة في هولندا، فالاستقطاب والكراهية لا يصلحان في وقت يواجه فيه العالم قوى الإرهاب بأشكاله المختلفة.

ويلعل أبيلو خسارة تيار الشعبوية في هولندا بتقليل زعيمها من قوة (الأسوياء) خارج دائرتي استقطاب (نحن - هم)، واستهانته بها، فحصل على مقاعد أقل بكثير مما كان متوقفاً وأدرك أن الطريق إلى رئاسة الوزارة لا يُبلط بالكراهية وعدم القبول بالآخر في مجتمع يقوم على قيم التعايش، وأنه على الرغم من أن ديناميات النرجسية توجد في أي مكان دائماً من المستوى الجزئي إلى الكلي، فإن قوة الطريق الأوسط لا يستهان بها، وينضم إليها الأسوياء، ويبدلون قصارى الجهد لإعلاء مجتمع التعايش، والحد من نزعات التطرف من أي اتجاه كان، سياسياً أو دينياً، وفق مبدأ الاختيار المفتوح على الاستغراق في العزلة النرجسية أو الاستمرار في مسعى التعايش الاجتماعي المنسجم، وهو المسعى الذي يعده المؤلف ضامناً لمستقبل العالم.

الكتاب: نحن - هم .. هل يخضع العالم للنرجسية؟

المؤلف: مارتن أبيلو

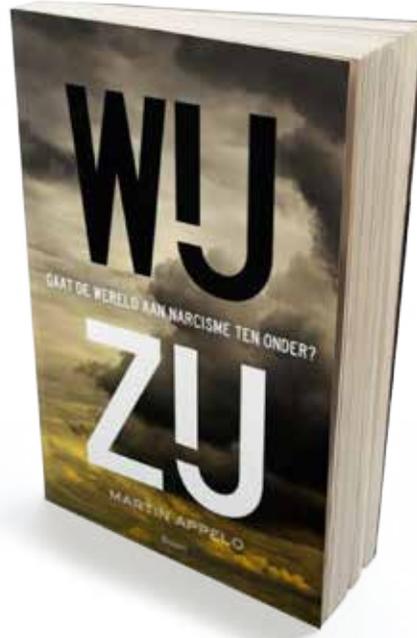
الناشر: دار بوم - أمستردام، يوليو ٢٠١٧

عدد الصفحات: ٢٦٠

اللغة: الهولندية

\* كاتب عربي مقيم في هولندا.

\* كاتب عربي مقيم في هولندا



هذا السعي والتوق - يقول أبيلو - استطعن أن نكبح النهايات النرجسية، وأمكنا البقاء كمجتمع منسجم، باتباع الطريق الوسط الطبيعي، جنباً إلى جنب، واجتراح مبادرات تهدف إلى التعايش الاجتماعي، التي بمقدورها التصدي للقوى النرجسية وإيقاف تمددها في نهاية المطاف.

ولعل مما يوازي هذه المقاربة النفسية الإشارة إلى أن ثمة جذورا ثقافية وتاريخية لتشكيل الصور النمطية التي تعبر الوعي، وتستقر في أعماق الذات الجمعية وهي تصنع آخرها، في ثنائية ال(نحن) وال(هم)، وفق صيغة المركزية الغربية التي كرسنا تصوراً متخيلاً عن الشرق على سبيل المثال، فيه من التناقض ما يوقعه في التهافت، إذ تجاور صورة ألف ليلة وليلة صورة الشرقي المتوحش، في حين أن التعريف على الآخر كما هو خارج ذلك التصور، يوسع أفقَي الثقافى والإنساني، فلا يعدو الآخر عدواً، بالضرورة، وإنما يتجلى في كونه الآخر الصديق، فيثرى ال(نحن) بما ل(هم) من تجربة ومن تنوع، والعكس بالعكس.

ولا تقف مقاربة أبيلو النفسية للإشكال النرجسي على مَبعدة من الرؤى الفلسفية، ولا سيما دروس الحياة للفيلسوف الهولندي رينيه خوده، الداعي إلى تعميم الفلسفة في الحياة، ووضعها في سياق التفكير السوي، باعتبارها علاجاً ضد الاستقطاب والنرجسية وثنائيتها. ولئن لم يكن لتلك الرؤى قدرة على فعل كل شيء بشكل جيد، فهي تمنح إحساساً بالسلام يجد تأكيده في كون السلام على الأرض يبدأ من السلام مع النفس أولاً.

ولعل ما يعزز فرضية المؤلف حول فاعلية القوة الثالثة بمواجهة نرجسية الاستقطاب (نحن - هم)، ما أكدته نتائج الانتخابات الهولندية في مارس ٢٠١٧، بحيث يمكن الذهاب إلى القول بأن لا خشية حقيقية من أن يدعن العالم للنرجسية.

ديني، تعبيراً عن حالة التلبس بالإله، لكن ليس على طريقة الحلول الصوفية، وإنما بتنحية الإله جانباً لتحل محله، وهي أعلى مراقي النرجسية، في مثل هذه الحال، مما يُعنى به علم النفس الاجتماعي ومعايير قياس النرجسية الجماعية، إذ يُظهر النرجسي إيماناً مُبالغاً فيه بالتفوق الذي يقترن بشك ضمني بشأن تفوق جماعته ومكانتها؛ لذا يجاهد لنيل اعتراف الآخر بذاك التفوق وتلك المكانة، بألية الغضب النرجسي - باعتباره رد فعل على الأذى النرجسي، بحسب سيجموند فرويد - الذي له صور عديدة كالعزلة، والسخط، وصولاً إلى الحركات الخطيرة التي تتضمن هجمات عنيفة، فكل من قطبي الثنائية (نحن - هم) لديه شعور متضخم بالذات، فالمدللون، يشعرون بالإحباط ولا يتمثلون ثقافة التسامح، ويتوقون إلى أن يكونوا مركز الاهتمام، فيما يشعر «الغريب» بالاعتزاز وأنهم يساء فهمهم، فينسحبون، ثم يلوذون بأيديولوجية يجدون فيها أنفسهم، وتسوِّغ لهم الدفاع الهجومي وتجييز لهم القتل أو هدر الدماء. غير أن هناك تماثلاً لافتاً بين السياسي الشعبي والإرهابي المتطرف يتجلى في كونهما يصدران عن دوافع نرجسية.

لكن السؤال المهم في هذا الكتاب الذي يعد امتداداً لكتاب أبيلو السابق (مرآة للنرجسيين - ٢٠١٣) هو: هل تؤدي النرجسية إلى نهاية العالم أو تستطيع القوى السوية في المجتمع التي تنهج طريقاً وسطاً، مواجهة هذه الكارثة مواجهة جادة؟ ومنطلقاً من هذا السؤال يبحث أبيلو في إشكالية إيقاف هذه النزعة أو اتجاه المجتمع إلى الخضوع للنرجسية، فهو كتاب عن النرجسية بشكل عام والنزعات النرجسية في المجتمع، ومن أمثلته التي أثارت جدلاً في العالم قادة مثل أدولف هتلر، وجوزيف ستالين، وماو تسي تونغ، وكيف تؤدي نرجسية فرد واحد إلى إبادة ملايين البشر.

على أن مما يصل إلى ذهن المتلقي أن الكتاب يضعك في مواجهة مباشرة مع نفسك لتفكر في نرجسيتك الخاصة، لكنه يقدم قبل كل شيء وجهة نظر جديدة متفائلة عن ثقافة الاستقطاب في هولندا على وجه التحديد، إذ يؤمّل على الغالبية العظمى من جماعة الأسوياء خارج قطبية (نحن - هم) ويثق أنها قادرة على أن توقف الاستقطاب في نهاية المطاف، ولعل ما يعزز هذا التأميل وتلك التفاؤلية أن النظرة الثاقبة إلى مشكلات النرجسية وقضاياها، تساعد على تخفيف عوامل الاستقطاب وتخفيفها، في المجتمع نفسه، وعلى رؤية النرجسي القابع في أنفسنا، كخلية نائمة. وهو ما يكتشفه القارئ إذ يرى أن قطبي الثنائية النرجسية ليسا بعيدين عنا كما نعتقد، ولكن لحسن الحظ لا يوجد في كل منا ميل فقط إلى الاستقطاب وإنما هناك سعيٌ لتحقيق الانسجام، وكلما نجحنا في تعزيز



## ما لا يمكن أن نعرفه ماركوس دي سوتوي

محمد السماك \*

من صفات الإنسان «حيوان سؤول»، فالسؤال هو الطريق إلى المعرفة والمفتاح إليها. وقديماً قال أرسطو: «إن الإنسان مفطور على المعرفة». والقرآن الكريم يحث الإنسان على التفكير في خلق السماوات والأرض. ويحثه على البحث في نفسه، حيث اللامنتهى من المعارف ومن الأسرار الكونية.

غير أن كتاب الدكتور ماركوس دي سوتوي، أستاذ العلوم الرياضية في بريطانيا، يتحدث عن حدود المعرفة عند الإنسان. ولذلك أعطى كتابه المثير عنواناً حول ما لا يمكن معرفته.

وكمدخل إلى تفاصيل هذا الكتاب، كان لا بد من الإشارة إلى ما حققته علوم الفضاء مثلاً من توسع في المعارف الإنسانية. ومن آخر أهم الأمثلة على ذلك وأشدّها إثارة، الاكتشاف الجديد الذي توصلت إليه مجموعة من العلماء الأوروبيين برئاسة البروفسور سيمون كلارك لنجم يتمتع بقوة جاذبية تبلغ مليون مليار مرة قوة جاذبية الأرض. ويبعد هذا النجم عن الكرة الأرضية مسافة ١٦ ألف سنة ضوئية. ورغم أن هذا الموقع بعيد جداً، فإن النجم يعتبر أقرب النجوم المماثلة إلى الأرض.. الأمر الذي يعطي فكرة مبسطة حول مدى اتساع الكون «وإننا لموسعون» يقول القرآن الكريم.

صغيرة وطائرة. ولأنّ الناس، بمن فيهم العالم المختص لا يستطيع أن يقيس بدقة كاملة هذه المتغيرات الطارئة، فإنه لا يستطيع أن يتنبأ بمتغيرات الطقس بشكل مطلق وثابت، اليوم وفي المستقبل. وتلتقي هذه النظرية مع ما ورد في دراسة علمية للعالم الجغرافي إدوارد لورنز نشرت في عام ١٩٧٢ تساءل فيها: هل إن حركة أجنحة الفراشات في البرازيل يمكن أن تطلق عاصفة في تكساس بالولايات المتحدة؟ مع ذلك، وحتى لو أنه يتعذر، أو يصعب التنبؤ بالمستقبل العلمي، فإن الناس تأمل دائماً، وتواصل السعي للكشف عن المزيد من القوانين العلمية.

وفي كتابه «التاريخ المختصر للوقت» للعالم الفيزيائي الشهير ستيفن هوكينغ والذي صدر في عام ١٩٨٨، قال: «إنني أعتقد أن هناك من الوقائع والأدلة ما يحملنا على الاعتقاد بأن الحكمة تقتضي أن نكون حذرين في تفاؤلنا بأننا أصبحنا على قاب قوسين أو أدنى من المعرفة الكاملة والنهائية لقوانين الطبيعة». ولكن متى يعرف الناس أنهم لم يصلوا إلى المعرفة الكاملة؟ لقد اعتقدوا أنهم وصلوا إليها فعلاً، ثم اكتشفوا أنهم كانوا على خطأ. فاللورد كالفين مثلاً وهو من كبار الفيزيائيين الإنكليز، أعلن في عام ١٩٠٠ وبثقة علمية مطلقة أنه «لم يعد هناك شيء جديد لاكتشافه في عالم الفيزياء». ولكن لم تمر سوى سنوات قليلة على ذلك حتى اكتشف العلماء نظريات جديدة حول النسبية

الأولى لصدام أجزاء الذرة. فالمنشورات العلمية تضاعف عددها خلال العقد الأخير مما يشير إلى وتيرة التقدم المعرفي العلمي واتساع مداه. ولكن المؤلف يطرح بعد ذلك السؤال التحدي التالي، وهو: هل يمكن القضاء على السرطان؟ ... هل يمكن وقف الشيخوخة؟ هل هناك نظرية معرفية لكل شيء؟ وهل نستطيع أن نعرف كل شيء؟

يقدم المؤلف جواباً بالنفي على هذا السؤال الأخير. ويتماهي هذا الجواب العلمي مع الآية القرآنية الكريمة التي تقول: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً». وتوضيح جوابه بالنفي المبني على معادلات ووقائع علمية، يقول المؤلف الدكتور دي سوتوي إن للمعرفة الإنسانية حدوداً. وإن من هذه الحدود التجربة الواقعية أو العملية. ويعطي مثلاً على ذلك فيقول: إنه بموجب نظرية نيوتن حول الحركة (نيوتن أحد علماء الفيزياء الإنكليز) فإن من الممكن التنبؤ بالوجه الذي تستقر عليه قطعة العملة المعدنية بعد إطلاقها من اليد. غير أن حسابات ذلك معقدة جداً (حساب قوة رمي قطعة العملة، وسرعة دورانها على ذاتها، وحساب المسافة بين يد مطلقها وموقع استقرارها، وسرعة الريح... إلخ)، بحيث يتعذر ترجمة كل هذه الحسابات الدقيقة إلى أمر عملي وواقعي.

ويقدم مثلاً آخر، عن حال الطقس مثلاً، ويقول إن الأمر دقيق جداً، وإن المتغيرات تتوقف على عوامل

ويؤكد علماء الفضاء وجود مجموعات عديدة من هذه النجوم التي تقدر زنة الواحد منها أربعين مرة أكثر من زنة الشمس. كما يؤكدون أن هذه المجموعات من النجوم تكونت في فترة مبكرة من عمر الكون، وأن من بينها نجومًا أثقل مليون مرة من الشمس، وأنها تكونت قبل أكثر من مليار عام.

من هنا السؤال: إذا كان العلم يعرف كل ذلك؛ وإذا كان يعرف أن ما يعرفه لا يمثل سوى القليل جداً من أسرار الكون، فما هي حدود اللامعرفة التي يتحدث عنها الكتاب؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من الإشارة أولاً إلى أن المؤلف يعترف أننا نعيش في القرن الواحد والعشرين ما يمكن اعتباره العصر الذهبي للمعارف العلمية. ومن الأمثلة التي قدمها على ذلك ما تم تحقيقه من إنجازات علمية من أهمها فك شيفرة الخلية الحية للإنسان.. وحتى للنبات ولكائنات حيوانية عديدة أخرى، الأمر الذي لا يساعد فقط على معالجة الأمراض الوراثية، بل إنه يتجاوز ذلك إلى معالجة الأمراض في النباتات وتحسين الإنتاج وتطويره (القمح والأرز مثلاً)، وكذلك مكافحة الأمراض التي تسببها حشرات (كالبعوض) من خلال تعديل مكونات شيفرتها الحية (D.N.A). ومن هذه الإنجازات الباهرة أيضاً ما تم تحقيقه في أحد المختبرات العلمية في سويسرا من خلال ما يعرف بجهاز «هاردون» الذي مكّن العلماء من محاكاة العملية

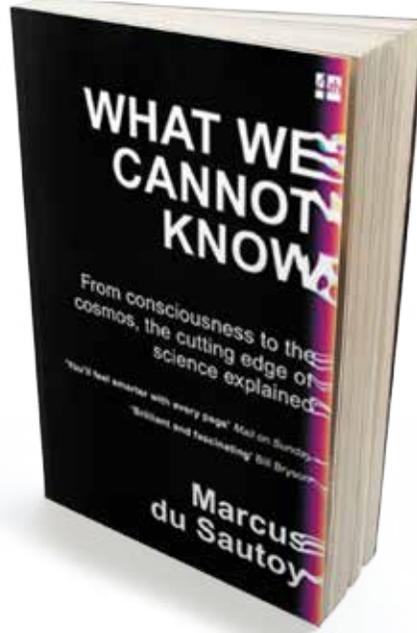


Emotional Intelligence“، للعالم ريتشارد يونك Richard Yonck، (وقد صدر هذا العام أيضاً في ٣١٢ صفحة عن دار نشر أركاد Arcade Publishing). في هذا الكتاب يقول المؤلف إن المشاعر تقع في صميم التفكير الإنساني، وإن التفوق الإنساني يقوم على قدرتنا على الإعراب عن مشاعر الحب وعلى تذوق الموسيقى وابتداعها، وحتى على صناعة النكتة والضحك. فالمشاعر تقع حسب المؤلف في بداية وفي نهاية تفكيرنا. واستناداً إليه فإن وظائف هذه المشاعر يقوم بها جزء من الدماغ اكتسبه الإنسان قبل مليوني عام، وأن الله خلق رأس الإنسان ليستوعب هذا التطور. وهو يعتبر أن صناعة الأحجار المسنونة للصيد هي البداية الأولى للتطور التكنولوجي. وأن هذا التطور مستمر.. وقد وصل اليوم إلى ما وصل إليه في صناعة الأجهزة الذكية.. بل البالغة الذكاء!!.

نعود إلى الكتاب الأول الذي بدأنا به، وهو كتاب «ما لا يمكن أن نعرفه». هنا ينتهي المؤلف في كتابه (العلمي المعقد جداً ولكن الشيق جداً) إلى الإقرار بأن هناك حقائق لا يمكن للإنسان أن يعرفها. أو أن يعرف ما هي هذه الحقائق التي لم يعرفها. ولكن يبقى أن الرغبة في معرفة المجهول تشكل حافزاً للإنسان للبحث عن المعرفة. وهو ما دعا إليه القرآن الكريم في أكثر من آية من آياته البينات التي خص فيها الإنسان على التفكير والعقل (أي استخدام العقل) لمعرفة بعض الحقائق الكونية عن خلق السماوات والأرض. من ذلك قوله: «أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء» (الأعراف ١٨٥). وقوله أيضاً: «ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى» (الروم ٨)، ولعل كلمة وما بينهما تشير إلى موجات الإلكترونات التي لا يزال فهم حركتها يستعصي على العلماء حتى اليوم. وقوله كذلك «والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» (النحل ١٢).

اسم الكتاب: ما لا يمكن أن نعرفه What We Cannot Know  
اسم المؤلف: ماركوس دي سوتوي Marcus Du Sautoy  
اسم الناشر: فايكنغ بنجوين Viking Penguin  
تاريخ النشر: ٢٠١٧  
عدد الصفحات: ٤٤٠ صفحة

\* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي



يقول الكتاب إنه في عام ١٩٦٢ حاول أحد العلماء من جامعة كورنيل الأميركية فرانك روزبلات Franck Roseplat تطوير حاسوب - جهاز كمبيوتر- يحاكي الذكاء الإنساني، بما في ذلك مفهوم اللغة، والترجمة. ولكنه لم يستطع. أما اليوم، فإن هذه الحواسيب أصبحت جاهزة وأصبحت قادرة حتى على قيادة السيارة.

والسؤال الذي يطرحه هذا التطور العلمي المعرفي الجديد والمفتوح أمام آفاق معرفية واسعة جداً في المستقبل، هو هل تحل الآلة محل الإنسان؟  
يجيب المؤلف عن هذا السؤال الذي يشغل العالم كله من خلال تقديم أرقام مبنية على إحصاءات رسمية. فيقول إنه في عام ١٩٠٠ كان ٤٠ بالمائة من اليد العاملة في أميركا تعمل في الزراعة. وأكثر من ٢٠ بالمائة تعمل في الصناعة. ولكن في عام ٢٠١٥ انخفضت نسبة العاملين في الزراعة إلى ٢ بالمائة فقط، وانخفضت نسبة العاملين في الصناعة إلى ٨,٧ بالمائة.

ولكن ماذا حدث لبقة العاملين...؟ من الواضح أن مجالات عمل أخرى استحدثت واستوعبتهم. ويقول المؤلف إنه مقابل كل فرصة عمل ألغيت، توفرت فرص عمل جديدة، مما أدى إلى تضخم القوة العاملة من ٢٤ مليوناً (أي ٣٠ بالمائة من السكان في عام ١٩٠٠) إلى ١٤٢ مليوناً (أي ٤٤ بالمائة من السكان في عام ٢٠١٥). أما المعدل الوسطي لدخل العامل اليوم فقد ارتفع ١١ مرة عما كان عليه في القرن الماضي.

غير أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، ففي كتاب آخر عنوانه: «قلب الآلة: مستقبلنا في عالم الذكاء العاطفي الاصطناعي» Heart of the Machine” Our Future In A world Of Artificial

(أينشتاين) وحول الفيزياء الكمية التي فتحت فضاءات علمية جديدة وواسعة.

فالفيزياء الكمية Quantum Physics وضعت حدوداً للمعرفة البشرية، وبيّنت أن هناك متغيرات غير متوقعة وغير محسوبة وغير موثوقة في الكون. فالإلكترونات مثلاً تتواجد على شكل موجات في الفضاء، وليس لها موقع محدد وثابت إلى أن يتم اكتشافها. ثم إن هناك حدوداً للمعرفة البشرية، وإن هذه الحدود ترسمها نظرية هيسنبرغ حول مبدأ اللامؤكّد، والتي تقول إن هناك معادلة تبادلية بين الموقع والحركة والجسم. وهكذا إذا ما عرفنا عن موقع موجة الإلكترون في الفضاء، نعرف أقل عن الاتجاه الذي تتحرك إليه. وهو أمر يحير العلماء أنفسهم. ويفرد المؤلف صفحات مطولة من كتابه لهذا الأمر الذي يكشف عن لا معرفة العلماء ليس بالمستقبل العلمي فقط.. ولكن حتى بالوقائع العلمية الحاضرة.

يعرف العلماء الكثير، كما يقول مؤلف الكتاب. يعرفون أصل الكون من خلال نظرية الانفجار العظيم، ومن خلال الجزئيات النووية (منذ عام ١٩٣٠) ومن خلال اختفاء المادة وكذلك من خلال «الثقوب السوداء» في الفضاء البعيد..

ويعرف العلماء الكثير أيضاً عن دماغ الإنسان وعن حالتَي الوعي واللاوعي. ويقول المؤلف وهو الاختصاصي في علم الرياضيات إنه إذا كان الناس عاجزين عن معرفة كل شيء من خلال العلوم، فلعلهم يعتمدون على حقيقة الرياضيات. ولكنه سرعان ما يعترف أنه حتى هنا فإن للمعرفة حدوداً.

فقد تبين لعلماء الرياضيات أن بعض النظريات تحتاج إلى عمر الكون لإنهائها. وينقل عن العالم النمساوي كيرت غودل قوله أنه لا يوجد نظام رياضي كامل، وأن هناك دائماً عبارات صحيحة ولكن لا يمكن إثباتها.

ولعل محاولات الإثبات تجري ولو بصورة غير مباشرة من خلال «الذكاء الاصطناعي»، أي من خلال الحواسيب المتطورة التي تحاكي ذكاء الإنسان.. بل بدأت تتجاوزه.

وقد صدر كتابان جديان حول هذا الموضوع هذا العام (٢٠١٧) أيضاً. الأول للكاتب الصحفي لوك دور ميل Luck Dormehl وعنوانه: «الآلات المفكرة: التطلع نحو الذكاء الاصطناعي.. وإلى أين تقودنا».

Thinking Machines, The Quest for Artificial Intelligence- And Where It's Taking us Next? والكتاب الذي يقع في ٢٧٥ صفحة هو من منشورات دار نشر Taicher Perigee.

# حالياً في الأسواق.. مجلة التفاهم

عنوان العدد: قضايا الإنسان والعمران في ضوء القرآن  
افتتاحية العدد: قضايا الإنسان والعمران في ضوء القرآن مسألتا: الأعراف الدينية والأخلاقية في بناء الإنسان والأوطان - عبد الرحمن السالمي

## مدن وثقافات

- مدينة قاشان (إيران/أصفهان) في المصادر المكتوبة -  
هاينز غاوبه.

## الإسلام والعالم

- رؤية فيبر للإسلام وتكون الحضارة الإسلامية.

## المحاور

- الرؤية الأخلاقية والاجتماعية للإنفاق في القرآن - رضوان السيد.  
- الزكاة والصدقات والأوقاف ونهضة المجتمعات الإسلامية الوسيطة - إبراهيم البيومي غانم.  
- التربية الدينية الإسلامية وأثرها في مكافحة الفقر والفساد - عز العرب لحكيم بناني.  
- التجديد في مسائل الوقف والزكاة لمكافحة الفقر في الأزمنة المعاصرة - نور الدين بن مختار الخادمي.  
- المصارف الإسلامية ومستقبلها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية - توفيق الجامعي.  
- إعلانات الفاتيكان بشأن مكافحة الفقر بين الدين والأخلاق - عز الدين عناية.  
- جدلية الفقر والفساد والاستبداد السياسي: مقارنة أخلاقية اجتماعية - أحمد زايد.  
- مشكلات الفقر واللامساواة في المجتمعات المعاصرة (الرؤية الاقتصادية) - سمير أسعد الشاعر.

## دراسات

- ماكس فيبر والاسلام: إشكالات وانتقادات - محمد الشيخ.  
- الدين والألوهية في فلسفة هيغل - مصطفى النشار.  
- بذل السلام للعالم رؤية فقهية مقاصدية - عبد الحميد عشاق.  
- التسامح والحريات الدينية بين الدبلوماسية والدين - نوكس تيمس.

## وجهات نظر

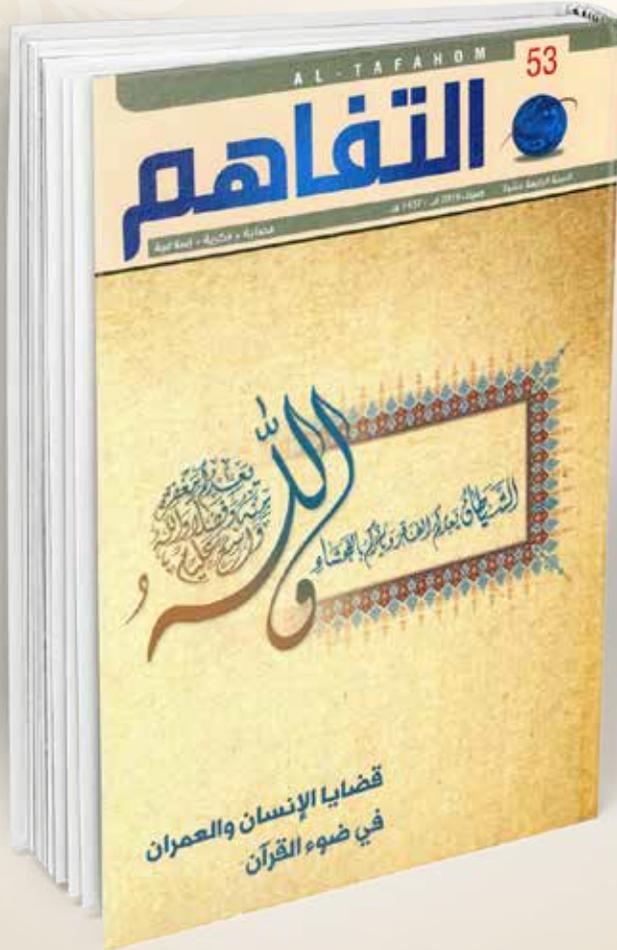
- المواطنة والأزهر قراءة في الحالة المصرية - محمد كمال الدين أمام.  
- الأمير شكيب أرسلان: من التفسير السياسي/ الديني إلى التفسير الجغرافي للأوضاع العربية والإسلامية الحديثة - محمود حداد.  
- مدارس اللاهوت البروتستانتية الحديثة والتعددية الدينية: رؤية نقدية لبعض نظريات تدبير الاختلافات الدينية المسيحية الحديثة على ضوء الفكر الإسلامي - محمد بنتاجة.

## آفاق

- نحو تواصل جديد بين القيم الصينية والعربية - عبد الجبار تشو وي ليه.  
- رؤية الفكر الاعتدالي للحضارتين الصينية والعربية من خلال التراجم الصينية - جين تشونغ جيه.  
- منهج الوسطية منهج النجاح للحضارة العربية الإسلامية - دينغ جون.

## متابعات

- مصحف مسقط الإلكتروني: أول المصاحف الإلكترونية ذات التفاعل من النص - احمد منصور.



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف : 24644031 - 24644032 +968 , فاكس : +968 24605799

البريد الإلكتروني : www.altafahom.net - al.tafahom@gmail.com - tasamoh@gmail.com